الرسالة المحمّديّة
في
الرّدّ عن السّادة السّعديّة

الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية

- تأليف: العلامة شمس محمد بن عمر زين الدين السعدي الحلبي الشهير بابن خليفة الزكي
- إعداد وتقديم: السيد سامر بن سليم السعدي الجباوي
- صححه: محمد غازي حسين آغا
- اعتنى به: أسامة محمد الحفيان النعيمي

للتواصل مع السيد سامر بن سليم السعدي الجباوي
samr.alsade1@gmail.com
004915779438979

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى 2023

دار العرّاب
للدراسات والنشر والترجمة
دمشق ــ سورية ــ حلبوني الجادة الرئيسية
هاتف: 00963112247432
جوال: 00963940455593
daralaraabb@gmail.com

الرسالة المحمّديّة
في الرّدّ عن السّادة السّعديّة

تأليف الشيخ شمس الدين محمد
ابن الشيخ عمر زين الدين السعدي الحلبي الشهير بابن خليفة الزكي
خليفة الطريقة السعديّة بحلب
تغمدهم الله برحمته ورضوانه

إعداد وتقديم
الشريف السيّد سامر بن سليم السعدي الجَباوي
حفيد السيد القطب الغوث الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره

قابله على النُسخ الخطيّة وصحّحه
الشريف النسّابة محمد غازي حُسين آغا

اعتنى به الأستاذ الشيخ أسامة محمد الحفيان النعيمي
قدّم له ثلة من السّادة أهل العِلم والفضل

الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية / تأليف شمس الدين محمد بن عمر زين الدين السعدي الحلبي الشهير بابن خليفة الزكي؛ إعداد و تقديم سامر بن سليم السعدي الجباوي ؛صححه محمد غازي حسين آغا؛ اعتنى به أسامة محمد الحفيان النعيمي .- دمشق: دار العراب،٢٠٢٣ .- ١٩٤ص ؛٢٥سم.

١- ٢١٨.٩ س ع د ر ٢- العنوان ٣-السعدي
٤-السعدي الجباوي ٥- حسين آغا ٦-الحفيان النعيمي

مكتبة الأسد

مدخل

إن هذا الكتاب مأخوذ عن المخطوط المحفوظ لدى الأمير شيف العثماني، وهو كتاب جمَعَ فيه المؤلف رحمه الله ما صحَّ من أخبار وآثار وأوراد وكرامات السيد القطب الغوث العارف بالله الشيخ سعد الدين الجباوي الإدريسي الحسني قدس الله سره وأظهر فيه أصل طريقتهم وسندها وجانب من مواقفها طيلة مسيرتها عبر قرون، وجانباً من حال رجالها نفعنا الله ببركة طريقتهم وسلوكهم وإرشادهم ومنهجهم،

وقد عملنا على تنقيح هذه النسخة من المخطوط وتصحيح بعض ما جاء فيه، مع مراعات وحفظ الأسلوب المتبع في المخطوط كما وتم تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وإضافة بعض الحواشي وتصحيح بعض المفردات اللغوية

سائلين الله تعالى التوفيق والقبول والتيسير آمين

بسم الله الرحمن الرحيم
ن
وما يسطرون

إهداء

إلى سيدي وسندي وقرة عيني وملاذي إلى الله

مولانا أبا القاسم محمد بن عبد الله ﷺ راجي شفاعته يوم القيامة،

وإلى جدي السيد القطب الغوث سعد الدين الجباوي الحسني

الذي نرجع فينا تقديم حُب الله ورسوله على ما سوى ذلك،

وترك لنا إرثاً كبيراً ومنهجاً سوياً من سار عليه وصل

إلى مقام الولاية والإيمان الكامل بالله تعالى ورسوله ﷺ ،

ثم إلى والديَّ الكريمين اللذان كانا وما زالا يأمراني

بطلب العلم واحترام أهله وملازمتهم، وكان والدي يصطحبني معه

منذ طفولتي إلى مجالسهم التي تربيت فيها بين حلقاتهم وأحولهم،

والذين كانوا وما زالوا يحثونني على خدمة المسلمين عامة وآل بيت

رسول الله ﷺ خاصة، أسأل الله تعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء وأن

يجعلهما من المحفوظين بعنايته ورعايته إنه ولي ذلك والقادر عليه،

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من اطلع أو ساهم معي بإنجاز هذا العمل

سائلاً الله تعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء

فضيلة الشيخ المربي العارف بالله عبيد الله القادري

فضيلة الشيخ المربي العارف بالله صباح الدين الرفاعي

فضيلة الشيخ العلامة الفقيه عبد الهادي محمد الخرسة

الأستاذ المؤرخ الباحث النسّابة الشيخ محمد غازي حسين آغا

المهندس والأخ الحبيب زاهر محمد عطايا السعدي الجباوي

والسيّد أديب نسيب السعدي القائم على الزاوية السعدية بدمشق الميدان

السيد الشريف الشيخ فوازالطباع الحسني

الأستاذ الشيخ أسامة محمد الحفيان النعيمي الحسيني

الشيخ الدكتور العلامة يوسف خطار محمد

الإمام المجاهد والصوفي الكبير الشيخ سعد الدين الجَباوي قدس الله سره

ابن السَيِّد الشيخ يونس الحسني الشيبي المكي قدس الله سره ابن الشرف السَيِّد عبد الله المغربي الحسني نزيل مكة المكرَّمة ابن السَيِّد يونس الحسني دفين جبل غربان من أعمال طرابلس الغرب ابن السَيِّد أبي السعود مُحَمَّد الطيب الحسني الشيباني الجَناني ابن السَيِّد علي الشرف الإدريسي ابن البحر الرائق كنز العلوم والحقائق، السَيِّد مؤيد الدين ابن السَيِّد سعد الله الشهير بشيبان، ابن السَيِّد عبد الرحمن المجذوب الأكبر، ابن السَيِّد علي المحجوب الإدريسي ابن السَيِّد عبد الله المراكشي، ابن السَيِّد عمر الإدريسي الحسني ابن مولاي الشرف السَيِّد إدريس الأنور، ابن مولاي الشرف السَيِّد إدريس الأكبر، الذي فتح الله المغرب على يديه، ابن مولاي عبد الله المحض الشهير بالكامل، ابن مولاي الحسن المثنى ابن أمير المؤمنين السبط الشهيد الإمام أبي مُحَمَّد الحسن عليه السلام ابن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

حضرة السلطان الشيخ سعد الدين الجباوي الحسني الحسيني الشيبي المكي الجناني قدس الله سره

نسبٌ به تُجلى هموم الناظر		في حُسنِ معناهُ البديع الزاهرِ	
بالغوث سعدُ الدينِ سعد سعودِه		قد لاح في حُلل الجمال الباهرِ	
قُطبُ الورى بدرُ العُلا وأبو الوفا		شيخُ الشيوخِ إمامُ كُلِّ مُفاخرِ	
فإليه لُذْ ولضيقِ أمرك نادِه		تلقى المضيق عليك أيسر ياسرِ	
وإذا نُظمتَ بسلكِ حضرته فقُل		يا ربِّ فامنحني بحُسْنِ سرائري	

مقدمة الشريف السيّد سامر بن سليم السعدي الجباوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين أما بعد... تُنسب الطريقة السعدية إلى القطب الغوث للعارف بالله سيدنا الشيخ سعد الدين الجَباوي الجناني الحسني من أبيه والحسيني من أمه، ولد قدس سره في مكة المكرمة عام 460 هجرية، وتوفي عام 575 هجرية ودفن في رواقه الشهير بقرية جَبا الشام، قبره الشريف يُزار وعليه الأنوار.

والطريقة السَّعدية هي منهج ودعوة إلى الله تعالى وتزكية وسير وسلوك ومتابعة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على يد شيخ مرشد كامل عالم عارف بالله من مشايخ الطريق والسلوك، وتعود بالسند المتصل إلى شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة صاحب الأنفاس المُحمدَّية سيدنا الشيخ سعد الدين الجباوي قدس سره، على أساس من الصحبة ومتابعة آدابه وأحكامه وتقاليده التي هي من خصوصيات هذه الطريقة.

والطريقة السعدية من الطرق الصوفية المهمة والمعدودة في بلاد الشام بشكل خاص وفي بلاد الحجاز ومصر وتركيا ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها من البلاد الإسلامية بشكل عام، وقد انتشرت الطريقة من خلال أبناء الشيخ رضي الله عنه وتلامذته الذين نشروها في أصقاع الدنيا، فولده

الأكبر الشيخ شمس الدين محمد الأنور هاجر إلى الأناضول في حياة والده ونشر الطريقة في بلاد الروم وانتفعت به أمة كبيرة، ثم عاد إلى جَبا حيث توفي ودفن فيها بجانب والده. وولده الشيخ يونس توجَّه إلى مصر في حياة والده وأقام فيها ونشر أنوار الطريقة حتى أصبحت من أكبر الطرق الصوفية المتبعة فيها، حيث دفن عند باب النصر ومقامه مشهور، وأيضاً أحفاد الشيخ سعد الدين قدس الله سره قاموا بنشر أنوار الطريقة في بلاد فلسطين فمنهم الشيخ ابراهيم الأنور الذي هاجر إليها للجهاد في سبيل الله ضد الصليبيين وأقام ثغرها في قرية الذيب بعكا ودفن في مقامه الشهير عام 656 هجرية، وأيضاً الشيخ أحمد الطيار الذي انتقل إلى قرية جيت من أعمال نابلس، والشيخ الكبير حسن الجباوي الجناني الميداني (توفي سنة 914 هجرية) الذي أقام الزاوية السعدية في حي الميدان بدمشق، وبقيت منارة تاريخية لكل ملتمس لهذه الطريقة ومحب لها. وأيضاً الشيخ حسن الجباوي الشاغوري (توفي سنة 988 هجرية) في حي الشاغور بدمشق، والذي انتشر أولاده وأحفاده وكان لهم الفضل الكبير في نشر الطريقة السعدية في بلاد البلقان، ومن بين المشايخ المعتمدين في هذا الفرع من الطريقة السعدية الشيخ ابراهيم أبو الوفا السعدي الجباوي الشاغوري (توفي سنة 1170 هجري)، الذي كان متولياً لأوقاف الجامع الأموي بفرمان سلطاني، وقد نشر الطريقة السعدية في العديد من البلاد وفي

مقدمتها تركيا وكوسوفو وغيرها من البلاد، بالإضافة إلى قاعدة بيتهم وهي الزاوية الشهيرة في حي الشاغور في دمشق.

ونعود الى كتاب (الرِّسالة المحمديَّة في الرَّد عن السَّادة السَّعديَّة). فهو كتاب مهم ألَّفه خليفة الطريقة السعدية في مدينة حلب الشيخ محمد شمس الدين بن الشيخ عمر زين الدين الحلبي الشهير بابن خليفة الزكي، ورتبه وتصدر في الرَّد عن هذه الطريقة المباركة مدعومة بأقوال العديد من الفقهاء المعتمدين في الفتاوى عبر حقب زمانية مختلفة، ومستمدة من الكتاب والسنة النبوية الشريفة. وقد أحببت أن أقوم بتحقيق هذه الرسالة وطباعتها لأسد ثغرة من ثغرات تراث السادة السعدية الذي لم يزل طي النسيان والإهمال، إلاَّ ما قام به شيخي النَّسابة المُحقِّق المؤرخ الأستاذ الشريف الشيخ محمد غازي حُسين آغا المكناسي الحُسيني في كتابه (الطريقة السعدية في بلاد الشام)، الذي يُعتبر سفراً عظيماً ومهما في تاريخ الطريقة السعدية ومؤسسها قدس الله سره، وأولاده وذريَّته ومن أخذ الطريقة عنهم ونشرها في العالم من الأحفاد والخلفاء فجزاه الله خيراً.

الشريف السيد
سامر بن سليم السعدي الجباوي
حفيد السيد القطب الغوث الشيخ سعد الدين الجباوي
الحسني الحُسيني الشيبي

الأحد 25 رمضان سـ1444ـنة / 16 نيسان سـ2023ـنة

كلمة الأستاذ المؤرخ النسّابة الشيخ محمد غازي حسين آغا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب السموات والأرض، عالمِ الغيب والشهادة، ذكره شعارنا، وثناؤه شارنا، لا إله إلا هو تعظيماً لوجهه الكريم، ذو الجلال والإكرام، والرحمة والغفران، حنَّت إليه قلوب الصديقين والأولياء والمُتقين والعارفين، حمداً يدوم بدوام مُلك الله، والصلاة والسلام على النَّبي الأعظم سيدنا محمد الذي ما خاب من توسل به إلى الله، ومن توسل به قَبلِهُ الله، ومن لاذ به أعزه الله، وجاهه هو الوحيد الذي لا يُرد عند الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين سفينة الهدى والنجاة وصحبه والتابعين.

ورضي الله تبارك وتعالى عن حضرة سيِّدنا وجدنا وقُدوتنا إلى الله تعالى القطب النبوي والغوث المحمدي صاحب الأنفاس المُحمدية سُلالة النبوة الطاهرة السلطان الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره، وعن أولاده وأحفاده وأهل سلسلة الطريق وكل طريقة مرضية لله تعالى والمسلمين، أما بعد... منذ زمن بعيد وأنا أعمل جاهداً في سبيل جمع تراث الطريقة السعدية الجباوية العلية، فكنت باحثاً وجامعاً وكاتباً وناشراً، وتنبهت من خلال ذلك إلى أن تراث هذه الطريقة المباركة تراث عقلي وروحي عظيم، يهدف إلى فهم الطريق إلى الله

تعالىٰ وسُبل الوصول إلىٰ أعلىٰ مقامات الكمال والمعرفة بالله تعالىٰ، وقد أسهم في تدوينه ووضعه كبار رجال هذه الطريقة المباركة الذين قضوا حياتهم في العلم والتربية والتزكية والإرشاد، وأسهموا في نشر الفضيلة والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ في مجتمعاتهم ومراكز دعوتهم التي أسَّسوها، وتوارثها عنهم من هم أهلاً لذلك من الأبناء والأحفاد والمريدين والخلفاء، وقد أدرك لهذا السُّمو الروحي والأخلاقي من أدرك، وأساء فهمه من أساء فاعترض، ولهذا فقد تصدَّر في الرَّد عن هذه الطريقة المباركة علماء وفقهاء أجلاء، بأدلة مدعومة بالأسانيد المُستمدة من الكتاب والسنة النبوية، وقد جمع بعضها المرشد الكامل الشيخ شمس الدين محمد السعدي الحلبي مرشد الطريقة السعدية في مدينة حلب الشهباء، في مؤلفه المعروف (بالرِّسالة المحمَّدية في الرَّد عن السَّادة السَّعديَّة).

والطريقة السعدية الجباوية العلية هي إحدىٰ الطرق الصوفية الصافية المنبع، وهي من مدارس العلم والتربية والتزكية والإرشاد والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وقد تأسست منذ أواخر القرن الخامس الهجري، وعمَّ انتشارها من دمشق الشام إلىٰ البلاد الإسلامية كافة، وكانت في مُقدمة الطرق الصوفية التي أسهمت في نشر الإسلام ونقل المؤثرات العربية والإسلامية إلىٰ أوروبا الشرقية علىٰ وجه الخصوص.

وللطريقة السعدية الجباوية العلية، تراث علمي وفكري عظيم، تركه لنا مؤسس هذه الطريقة المباركة قدس الله سره ومَن خَلفَه من أولاده وأحفاده ومريديه وخلفائه على مر التاريخ، ولكن لم يحظَ هذا التراث العظيم مع دخول الطباعة بالعناية المطلوبة في طباعته ونشره، فبقي هذا التراث تتجاذبه المكتبات الخاصة والعامة بعيداً عن الأنظار، وقد عبث ببعضه أمراض الكتب، وفعل فيه الزمان ما فعل، وأصابه من التلف ما أصابه.

ونأمل أن يصل إلى أسماعنا ما نبحث عنه من مخطوطات ورسائل معتمدة ومجاميع خاصة بالطريقة السعدية، وعلى وجه الخصوص مؤلفات مؤسسها القطب الغوث الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره، ليُرفع الغبار عن هذا التراث العظيم ويتم تحقيقه ونشره باهتمام وبطريقة علمية، ليرفُد المكتبة العربية والإسلامية بمخزونه الفكري الصافي، ويأخذ مكانه المناسب.

فالطريقة السعدية الجباوية العلية كانت رائدة بين الطرق الصوفية بمراكزها الدعوية والإرشادية، وفي خصوصياتها ومقامات وأحوال السلوك التي رسَمت من خلالها طريق الوصول إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة النبوية.

وما من مقام من مقامات السلوك في الطريقة السعدية إلاَّ هو ثمرة من ثمار حال المحبة الذي يتقدم كل مقام وينتهي بكل مقام ويتخلل كل مقام. ولهذا فقد قال العارف بالله تعالىٰ الشيخ سعد الدين السعدي مرشد الطريقة السعدية في مدينة حمص: (طريقنا محبَّة وعلم وعمل،طريقنا محبَّة وعمل،طريقنا محبَّة لا عمل). فمقصوده بذلك أن الطريق إلىٰ الله تعالىٰ علم وعمل واستغراق في حال المحبة، فالعمل معنىٰ يتجلىٰ فيه الإنسان، والعلم يولد من العمل، وعندما يتقدم حال المحبة معنىٰ العمل ومجاهدة العلم، فيندرجان في صفحات نور المحبَّة، وهنا لا يرىٰ السالك إلاَّ العلم بحال المحبة، والعمل بالمحبَّة، فيرتقي بذلك إلىٰ طي المُسميات بمُسمىٰ واحد، ألا وهو المحبَّة،فالمحبَّة أساس لكل حقيقة، بل وكمالٌ لكل مقام مطلوب في سلوك الطريقة السعدية الجباوية العلية. قال الهجويري رحمه الله تعالىٰ: (كلما كانت المحبَّة في القلب أقوىٰ، كان أمر الحبيب علىٰ الحبيب أيسر).

وهذه الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية، لمؤلفها وجامعها المرشد الكامل الشيخ شمس الدين محمد السعدي الحلبي من أعيان القرن العاشر الهجري، حيث أحبَّ السيد سامر السعدي حفظه الله

تعالىٰ أن يرفع عنها طور النسيان، ويقوم بتحقيقها ونشرها، ولعل هذه المبادرة الطيبة تكون بداية لفتح آفاق واسعة في البحث والتنقيب عن تراث هذه الطريقة المباركة المركون في المكتبات الخاصة والعامة، وعلىٰ وجه الخصوص في المكتبات العالمية.

ونحن في هذا الموقف نبرأ إلىٰ الله تعالىٰ من حولنا وقوتنا، ونسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعل في هذا العمل الفائدة المطلوبة الكل طالب ومريد سليم القلب، بعيد عن أمراض النفس والهوىٰ، وداء الاعتراض وسوء الظن، وممَّن لا يُنكرون إلاَّ ما أنكرته الشريعة الغراء. وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد المصطفىٰ الأكمل وآله الأطهار وصحبة والتابعين وسلم تسليماً كثيراً.

محمد غازي حسين آغا

سبط العارف بالله تعالىٰ

الشيخ سعدالدين السعدي الجَباوي

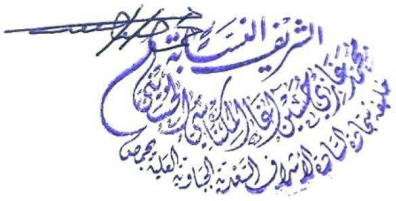

سوريه – حمص المحروسة – حي بستان الديوان – شارع الجباوي.

الخميس 22 رمضان سنة 1444 هـ/ 13 نيسان 2023 م.

كلمة الشيخ العارف بالله عبيد الله القادري الحسني

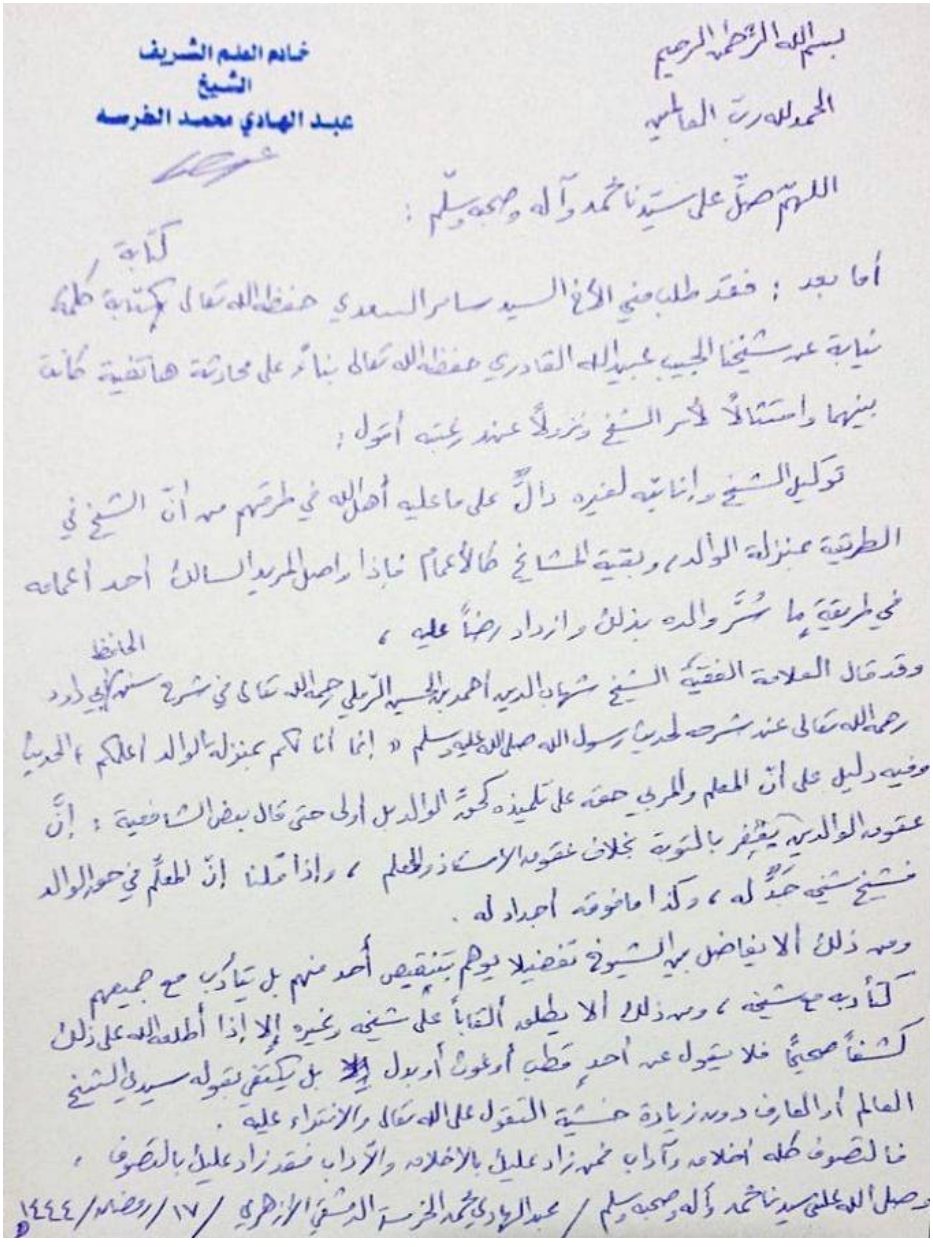

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم :

خادم العلم الشريف
الشيخ
عبد الهادي محمد الخرسه

كلمة

أما بعد : فقد طلب مني الأخ السيد سامر السعدي حفظه الله تعالى كتابة كلمة نيابة عن شيخنا الحبيب عبيد الله القادري حفظه الله تعالى بناءً على محادثة هاتفية كانت بينهما واستئلالاً لأمر الشيخ ونزولاً عند رغبته أقول :

توكيل الشيخ وإنابته لغيره دالٌّ على ما عليه أهل الله في طريقهم من أن الشيخ في الطريقة بمنزلة الوالد، وبقية المشايخ كالأعمام فإذا وصل المريد السالك أحد أعمامه في طريقه ما سُرّ والده بذلك وازداد رضاً عليه ،

الحافظ
وقد قال العلامة الفقيه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين الرملي رحمه الله تعالى في شرح سنن أبي داود رحمه الله تعالى عند شرحه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم » الحديث ، وفيه دليل على أن المعلم والمربي حقه على تلميذه كحق الوالد بل أولى حتى قال بعض الشافعية : إن عقوق الوالدين يغفر بالتوبة بخلاف عقوق الأستاذ والمعلم ، وإذا علمت أن المعلم في حق الوالد شيخ شيخه جدٌّ له ، وكذا ما فوقه أجداد له .

ومن ذلك الانفاض بين الشيوخ تفضيلا لبعضهم بتنقيص أحدهم بل يتأدب مع جميعهم كتأدبه مع شيخه ، ومن ذلك ألا يطلع الطالب على شيخه وغيره إلا إذا أطلعه الله على ذلك كشفاً صحيحاً فلا يقول عنه أحد قطب أو غوث أو بدل إلا بل يكتفي بقوله سيدي الشيخ العالم العارف ونحو ذلك حتى يقول على الله تعالى والانتماء عليه .

فالتصوف كله أخلاق وآداب كلما زاد عليك بالأخلاق والآداب فقد زاد عليك بالتصوف ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم / عبد الهادي محمد الخرسة الدمشقي الأزهري / ١٧ / رمضان / ١٤٤٤ هـ

كلمة فضيلة الشيخ العلامة عبد الهادي محمد الخرسة

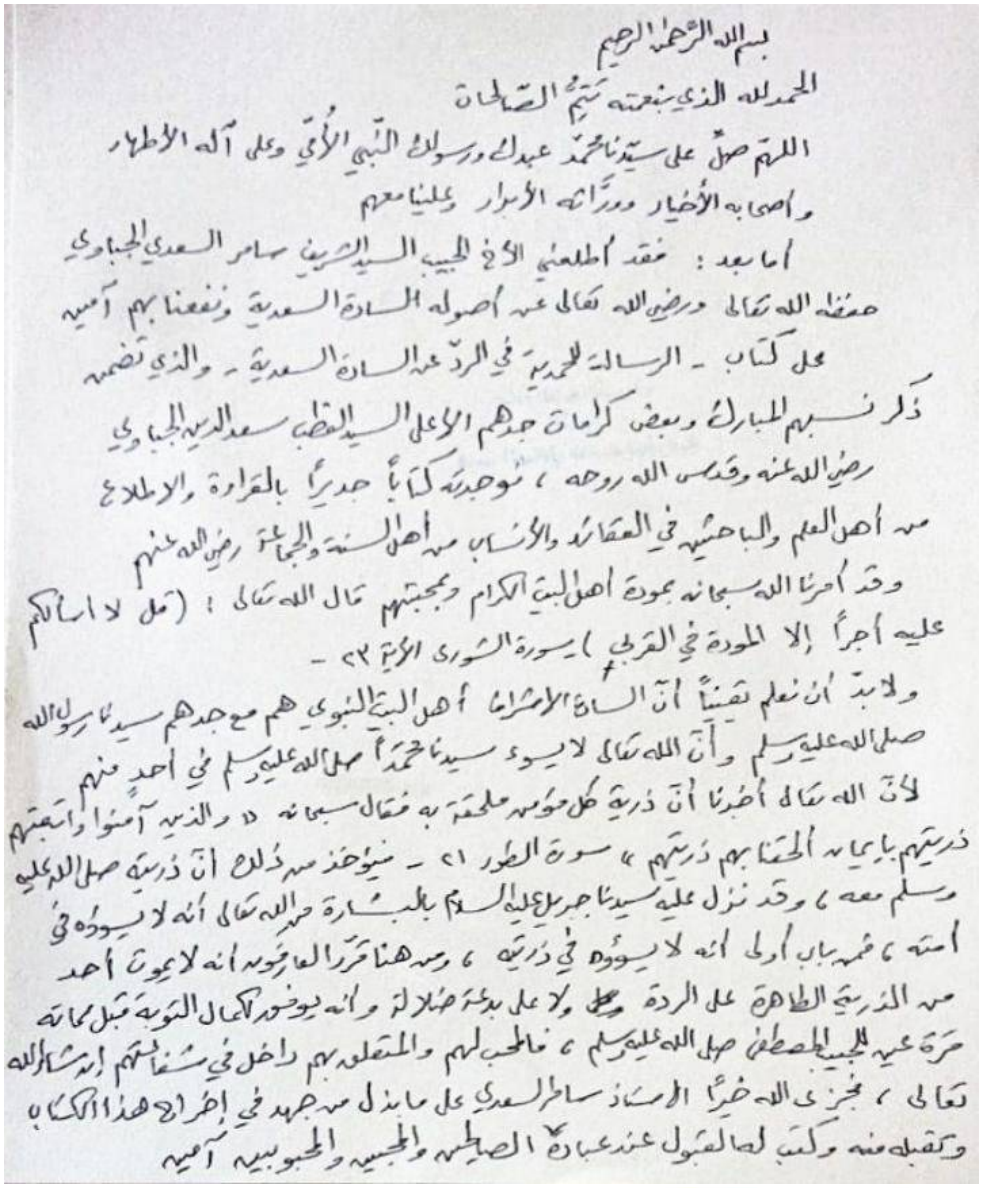

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله الأطهار

وأصحابه الأخيار وورثته الأبرار وعلينا معهم

أما بعد: فقد اطلعني الأخ الحبيب السيد الشريف سامر السعدي الجباوي

حفظه الله تعالى ورضي الله تعالى عنه أصوله السادة السعدية ونفعنا بهم آمين

على كتاب - الرسالة الحميدية في الرد على السادة السعدية - والذي تضمنه

ذكر نسبهم المبارك وبعض كرامات جدهم الأعلى السيد القطب سعد الدين الجباوي

رضي الله عنه وقدس الله روحه، فوجدته كتاباً جديراً بالقراءة والاطلاع

من أهل العلم والباحثين في العقائد والأنساب من أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم

وقد أمرنا الله سبحانه بمودة أهل البيت الكرام ومحبتهم قال الله تعالى: (قل لا أسألكم

عليه أجراً إلا المودة في القربى) سورة الشورى الآية ٢٣ -

ولابد أن نعلم يقيناً أن السادة الأشراف أهل البيت النبوي هم من جدهم سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى لا يسود سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في أحد منهم

لأن الله تعالى أخبرنا أن ذرية كل مؤمن ملحقة به فقال سبحانه «والذين آمنوا واتبعتهم

ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» سورة الطور ٢١ - فيؤخذ منه دلالة أن ذرية صلى الله عليه

وسلم معه، وقد نزل على سيدنا جبريل عليه السلام بالبشارة من الله تعالى أنه لا يسود في

أمته، فمن باب أولى أنه لا يسود في ذريته، ومن هنا تقرر للعارف به أنه لا يموت أحد

من الذرية الطاهرة على الردة ولا على بدعة ضلالة وأنه يوفق لكمال التوبة قبل مماته

حرمة عبده المجتبى المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالمحب لهم والمتعلق بهم داخل في شفاعتهم إن شاء الله

تعالى، فجزى الله خيراً الأستاذ سامر السعدي على ما بذل من جهد في إخراج هذا الكتاب

وتقبله منه وكتب له القبول عند عباده الصالحين والمحبوبين آمين

خادم العلم الشريف

الشيخ

عبد الهادي محمد الخرسة

قاله بفمه

خادم العلم وأهله

عبد الهادي محمد الخرسة

الدمشقي الأزهري

الثلاثاء ١٧ / رمضان / ١٤٤٤ هـ

كلمة فضيلة الشيخ العلامة يوسف خطار محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسعد أولياءه وأعاظم عباده من كأس وداده ما أذهلهم عن الشهاد والكرى، وشغلهم عما سواه، فهاموا على استهاموا، وما كانت الأغيار عندهم إلا حديثاً يفترى، ومنحهم من مواهبه ما غيبهم عن الورى، وتوعد من ناوأهم وآذى من عاداهم بحرب من الله ورسوله، فيالك من وعيد ما أشده لمن عقل ودرى!

والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وسيد الأنبياء والأصفياء والأولياء، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد اطلعت على كتاب «الرسالة المحمدية في الرد على السادة السعدية» فوجدته كتاباً مفيداً غنياً بالمعرفة، وقد تضمن بعض كرامات القطب الرباني الشيخ سعد الدين الجباوي رضي الله عنه، وذكر فيه النسب النوراني المبارك، وفيه بعض أسرار الذكر التي لا يستغني عنها طالب علم، مع باقة معطرة بأقوال وأشعار مؤثرة في القلوب، أسأل الله عز وجل أن يوفق الأخ الفاضل سامر السعدي وأن ينفع بعلمه وأن يجعله وإياكم من أهل الإخلاص والصدق.

وأن يحشرنا مع آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعباده الصالحين.

الدكتور

يوسف خطار محمد

عضو الهيئة التدريسية في جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية

يوم الأحد ١٨ رمضان ١٤٤٤ هجرية.

كلمة فضيلة الشيخ المربي صباح الدين الرفاعي الحسيني

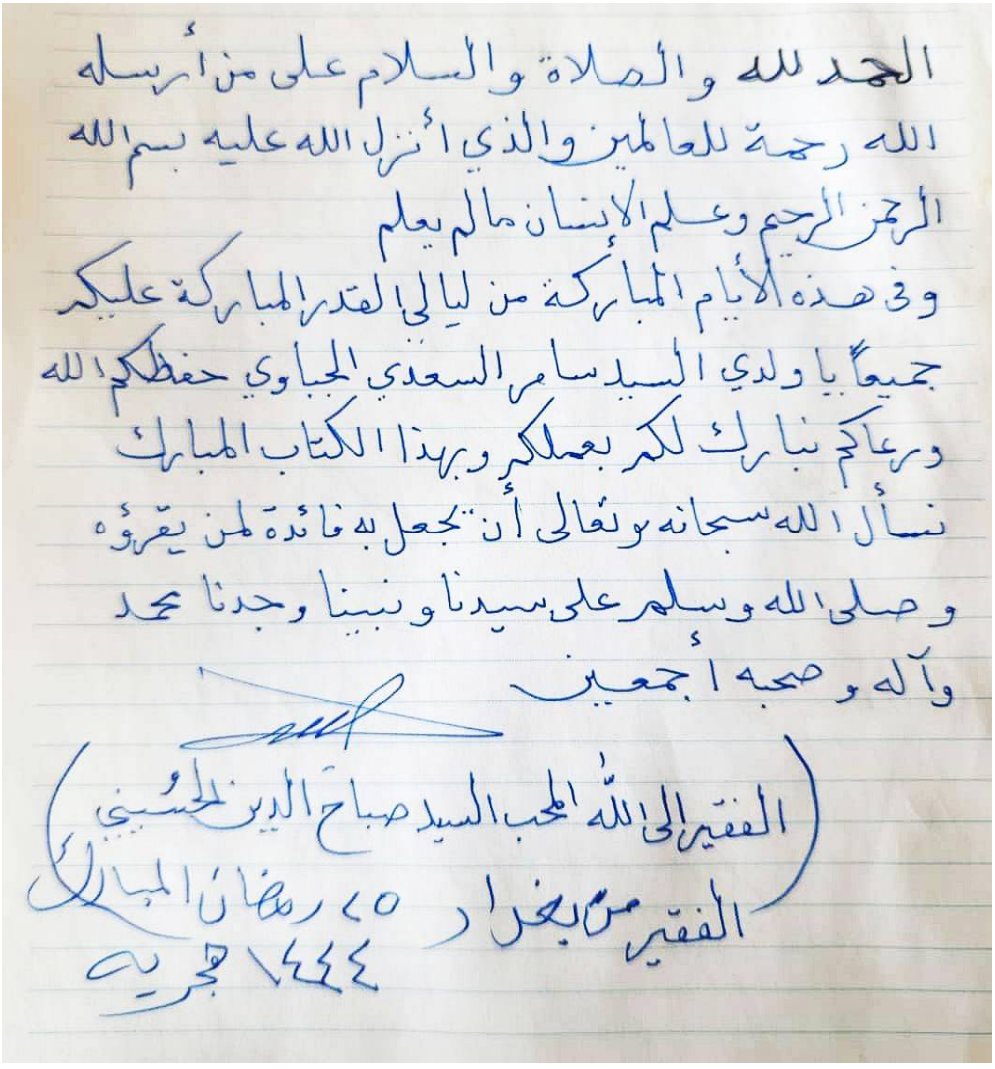

الحمد لله والصلاة والسلام على من أرسله
الله رحمة للعالمين والذي أنزل الله عليه بسم الله
الرحمن الرحيم وعلم الإنسان مالم يعلم
وفي هذه الأيام المباركة من ليالي القدر المباركة عليكم
جميعاً يا ولدي السيد سامر السعدي الجباوي حفظكم الله
ورعاكم نبارك لكم بعملكم وبهذا الكتاب المبارك
نسأل الله سبحانه وتعالى أن تجعل به فائدة لمن يقرؤه
وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا وجدنا محمد
وآله وصحبه أجمعين

الفقير إلى الله المحب السيد صباح الدين الحسيني
الفقير من بخارا ٢٥ رمضان المبارك
١٤٤٤ هجرية

كلمة فضيلة الشيخ الشريف فوازر الطباع الحسني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللهُ تعَالىٰ: ﴿ قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾

الْحَمْدُ لله رَبّ الْعَالمين، مَالك الْمُلك ذو الْجَلَال وَالإكرام، ذو المنّ الذي لا يُكَافئ امتنَانهُ، وَالْقَول الذي لا يُجاز إنْعَامه وَإحْسَانه يَا ذا العزّة وَالْجَلَال يَا جاعل الظّلمات وَالنّور وَالأَزْمنة وَالدُّهور، صلِّ اللّهم وَسَلّم علَىٰ سَيّدنا مُحَمّد أفضل أنْبيائكَ، وأكرم أَصْفيائك، وَإمَام أَوْليائك، وَخَاتم رُسلكَ وَأنبيائك، وَحَبيب رَبِّ الْعَالَمين، وَشَهيد الْمُرسَلين، وَشَفيع المذنبين، وسيد ولد آدمَ أَجْمَعين، الْمَرفوع الذكر عنْدَ الْملائكة الْمُقَرّبين، الْبَشير النّذير، السّراج الْمُنير، الصّادق الْأمين، الصّادع بالحق المبين، الرؤوف الرحيم، الهادي للصراط المستقيم، الذي آتيتهُ سَبْعاً من الْمَثَاني وَالْقرآن الْعَظيم، نبيِّ الرّحمة، وَهَادي الأمّة، أولُ مَن تنشقُّ عنهُ الأرضَ ويدخل الجنةَ، المؤيدُ بسَيّدنا جبرائيلَ وَسَيّدنا ميكائيلَ عَلَيهما السلام، المبشرُ به بالتوراة والإنجيل، الْمُصْطَفَىٰ الْمجتبىٰ، المنتخب أبي القاسم عَبد الله وَرَسُوله سَيّدنَا مُحَمّد بن عَبد الله بن عبد المطلب بن هَاشم صَلّىٰ اللهُ عَلَيه وَآله وَصَحْبه وَسَلّم تَسْليماً كثيراً. وبعد... فَقَد عَهدَ إلَيّ أخينا

وَحَبيبنَا الحسيب النسيب سيادة الشريف سامر بن سليم السعدي الجباوي الحسني حفيد مولانا العارف بالله شيخ زمانه وقطب أوانه سيدي سعد الدين الجيباوي الحسني قدس سره كتاباً من تحقيقه وهو (الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية) لسيّدي الشَّيخ العلّامَة مولانا شمس الدين محمد الجباوي طريقةً والحسني نسباً رَحِمَهُ اللهُ. وَبعد أن اطّلعتُ علىٰ هَذه الرِّسَالة الطّيبة المُباركة وَتحقيقها وَجَدتُ فيها من الكَلام العلمي السّهل الممتنع فَعَلىٰ صغر حَجمها وَلَكن بها مَن المَعلومات الكَافية الوافية عَن السادة الجباوية ونسبهم المبارك لأهل بيت النّبي صَلّىٰ اللهُ عَلَيه وَآله وَسَلّم وعن شيخ هذه العائلة المباركة وقطبها وإمامها مولانا سعد الدين الجباوي الحسني قدس سره وَممّا أعجبني دقّة التحقيق وَالغَزارة العلمية الممنهجة في تحقيق هذه الرِّسَالة العظيمة.

قَالَ الإمامُ مُحَمّدٌ أبي الهدىٰ الصّيادي الرِّفَاعي الحسيني رَحمه اللهُ:

يـَا جَاهِلًا قَـدرَ أَهْلِ الْبَـيْتِ وَالْمَدَد وَذَاهِبًا فِي الْهَوَىٰ الْوَهْمِ يِّ عَن الرّشد

شَيْخُ الْعَشِيرَةِ يَحْمِي أَهْـلَ عُصْبَتِـه فَكَيْـفَ بِـالْمُصْطَفَىٰ عَـلَامَةُ الأَبَـد

عُـدْ رَبِّـكَ فِـي تَـطْـهِيرِعترَتِـه بِـحكم الـذِّكْرِ لَا يـخْـفَىٰ عَـلَىٰ أَحَـد

وَإنّني لأسال الله بهذا ا لجهد الطّيب المُبَارك أنْ يَنْفعَ به الْعبادَ وَالبلادَ. وَأ نْ يكونَ دليل صدقٍ وَمَحَبّةً لَنا للحبيبِ مُحَمّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيه وَآله وَسَلّم وَأهلِ بَيْتِه الطيبين الطاهرين.

وَأوصي أخي المحققِ لهذا الْكِتَابِ القيّمِ وَكل مَنْ يَقْرأ هَذا الكتابَ

أن لا يَنْسَاني من صَالحِ دُعائه وَالْحَمدُ لله رَبّ العالمين.

أخوكم الشّريف فَوّاز بن بَشّار الطّباع الْحَسني

الْمملكة الْأردنية الْهَاشمية

١٢/ رمضان/ ١٤٤٤ هجري الموافق ٤/ ٤/ 2023 ميلادية.

كلمة المهندس زاهر عطايا السعدي الجباوي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي أطلع في قلوب أحبابه بالمعارف الإلهية وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والخفية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بأعظم شرف وأكرم عطية وعلى آله وأصحابه أصحاب النجدة والحمية، وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين.

فإن ممَّا مَنَّ الله على الأخ الحبيب السيد الشريف سامر السعدي الجباوي الحسني حفظه الله تعالى، جمع همته في أحياء تراث السادة السعدية الجباوية الذي للأسف لازال دفين الزوايا والتكايا والمكتبات الخاصة ومن بينها كتاب (الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية) لمؤلفها الشيخ محمد شمس الدين بن عمر زين الدين السعدي الحلبي (طريقة) الشهير بابن خليفة الزكي، والذي يعتبر من أهم الكتب التي أُلفت قبل في القرن العاشر الهجري. ويوجد من هذه المخطوطة عدَّة نسخ كتبت في عصور مختلفة، منها هذه النسخة التي قام الأستاذ سامر السعدي بتحقيقها والتي تعود إلى عصر قريب بالمؤلف، ونسخة أخرى كتبت في القرن الثاني عشر الهجري محفوظة في مكتبات تركيا، ويوجد نسخة محفوظة بالزاوية

السعدية في القيمرية في دمشق، وقد قام باختصار الرسالة المحمدية الشيخ العلامة أبي الطيب الغزي الدمشقي المتوفىٰ (سنة ١٦٣٥/ ١٠٤٥) وأسماها (النفحة الربانية في الطريقة السعدية).

فالطريقة السعدية في بلاد الشام ظهرت منذ مطلع القرن السادس الهجري وهي تنسب للقطب العارف بالله الشيخ سعد الدين الجباوي الشيباني الجناني الحسني رضي الله عنه (مولده 460 هجرية وفاته 575 هجرية) دفين قرية جبا التابعة لمحافظة القنيطرة في سوريا، والطريقة السعدية من الطرق الصوفية المهمة والمعدودة في بلاد الشام بشكل خاص وفي بلاد الحجاز ومصر وتركيا ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها من البلاد الإسلامية بشكل عام، وقد سلكها الكثير من العلماء والفقهاء والسادة الأشراف والأعلام وكبار رجال الدولة في دمشق والباب العالي وشتىٰ البلاد، وقد أسهم رجال هذه الطريقة في مجالات علمية وإنسانية واجتماعية، وكان لهم دوراً بارزاً في مجتمع مدينة دمشق علىٰ وجه الخصوص، ولدىٰ رجال الدولة والحكام حتىٰ في دار الخلافة بإستنبول.

وللطريقة السعدية المباركة سندان وهبي وكسبي أَمَّا السند الوهبي، فهو كما ذكر في كتاب الرسالة المحمدية وأيضاً في نصوص

الإجازات وتناقلته الأخبار أن قطب هذه الطريقة المباركة اجتمع بسيدنا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وسيدنا علي كرم الله وجهه، كما في الواقعة الشهيرة حيث خلع عليه رداءه وأمره بالاستغفار، وأخرج سيدنا علي رضي الله عنه من جيبه ثلاث ثمرات وأعطاها سيدنا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله فنفخ عليها وأطعمها لسيدنا سعد الدين وقال له: (خذها خالدة تالدة لك ولذريتك ومن تبعك الىٰ يوم القيامة).

كما لقَّنه الذكر وألبسه الخرقة المباركة من يده الشريفة، أما سنده الكسبي، فإنه يروىٰ أن سيدنا سعد الدين بعد هذه الواقعة التي جرت له مع سيدنا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وسيدنا علي رضي الله عنه، عاد إلىٰ والده الشيخ يونس الشيباني في مكة المكرمة، وأخذ عليه العهد وألبسه الخرقة المباركة، ولقَّنه الذكر ووجهه إلىٰ دمشق الشام، والشيخ يونس الحسني الشيبي المكي يعود سنده بالعنعنة إلىٰ مشايخه إلىٰ آل بيت النبوة عليهم السلام.

فأحب أن أشكر الأخ الحبيب الشريف الأستاذ سامر السعدي الجباوي الحسني حبه وسعيه في إظهار حق ربَّما أُضيع بسبب الإهمال والنسيان، وأشكر له جهده الحثيث في إخراج هذا المخطوط إلىٰ

النور، ليطلع عليها كل صاحب علم أو ملتمس أو محب لهذه الطريقة السعدية الجباوية المباركة وتراث السادة الصوفية رضي الله عنهم، وأشكر كل من ساهم ودعم وبذل الجهد خصوصاً الأستاذ الشريف أسامة محمد الحفيان النعيمي الحسيني حفظه الله تعالى، وأستاذنا الشيخ النسابة المُحقِّق محمد غازي حُسين أغا المكناسي الحسيني (صاحب كتاب الطريقة السعدية في بلاد الشام) الذي يُعتبر أول كتاب ومرجع في الطريقة العلية السعدية ورجالها، وطريقة سلوكها وأذكارها وأنوارها إلى القرن العشرين، الذي حاول أن يجمع ما استطاع من تراث السادة السعدية فجزاه الله خيراً.

أسال الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفق الأخ الأستاذ سامر وجميع من ساهم في إنجاز العمل، وأن يحشرنا جميعا تحت لواء سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد وآل بيته الأطهار وصحابته الأخيار، وشملنا الله جميعاً ببركات أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبركات أهل الله تعالى أجمعين.

المهندس زاهر عطايا السعدي الجباوي الحسني

عفى الله عنه وعن والديه.

19 رمضان 1444-10/ 4/ 2023

كلمة شيخ سجادة الزاوية السعدية بدمشق الشام بزاويتها العامرة في حي الميدان. المنسوبة إلى القطب الجليل الشيخ حسن الجباوي الكبير قدس الله سره

الشريف السيّد أديب نسيب السعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيِّد الخلق أجمعين، حبيبنا وشفيعنا سيِّدنا محمد وآل بيته الطاهرين وصحبه والتابعين. أمَّا بعد... فإنِّي أشكر الأخ الحبيب السيِّد الشريف سامر بن سليم السعدي أن أتاح لي الفرصة لأُعبِّر وأكتب كلمة مقتضبة لهذا السفر المبارك: (الرِّسالة المُحمَّدِيَّة في الرَّد عن السَّادة السَّعديَّة). لمؤلفه السيد الشيخ محمد شمس الدين الحلبي السعدي طريقةً، أحد خلفاء جدنا الأعلى الشيخ محمد سعد الدين السعدي الميداني المتوفى سنة 987 هجرية. وهو شيخ مشايخ الطريقة السعدية في الزاوية العامرة بحي الميدان وسائر البلاد الإسلامية.

وقد قام بتأليف هذه الرسالة خدمة لطريق القطب الغوث صاحب الطريقة والحقيقة العارف بالله تعالى الشيخ سعد الدين الجباوي

الشيباني الحسني الحُسيني قدس الله سره المتوفى سنة 575هجرية ودفين رواقه الشهير في جبا الرحيبة قدس الله روحه وأمدنا بمدده آمين.

فقد كانت هذه الزاوية منذ أن أسَّسها جدنا الشيخ حسن الجباوي الميداني الكبير قدس الله سره المتوفى سنة 914 هجرية، منارة هدىً ودعوة وإرشاد للسالكين، ومنهلاً عذباً صافياً لأبناء الطريقة السعدية الجباوية العلية، فقد كانت طريقة العلماء والأشراف وذو الشأن ومن جميع شرائح المجتمع، وقد زارها الكثير من أهل العلم والأدب والأولياء ورجال الدولة وأبناء الطريق.

وكان يقف عندها محمل الحج الشريف لينال بركة صاحب الطريقة في دربه قبل خروجه من دمشق الشام إلى الديار المُقدَّسة.

وقد امتدح العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي شيخ الطريقة السعدية في زمانه وهو الشيخ إبراهيم برهان الدين السعدي المتوفى سنة 1135هجرية بقصيدة مطلعها:

ركائبُ شوقي والحداةُ بهم تحدو إلى الحي حيثُ البانُ يَنفَحُ والرَّنْدُ

وحيثُ رياضُ الذّكرِ عابقةُ الشَّذا تروحُ بأهل الذّكرِ وَجْداً كما تَغْدو

... ...

وشوقي إليهم كاملاً لم يزلْ كما أُولادِ سعد الدين قدْ كُملَ السَّعْدُ

شايخُ وقتٍ عطَّر الكونُ ذ كرَهُمّ فما العنبرُ الورديُّ يَعْبَقُ ماء الورد
وفي كلِّ عصرٍ واحدٌ بعد واحد به ينتظمُ الذّكر ويتّسقُ العَقْدُ
وقامَ بإبراهيم بيتُ مقامهمّ كما قامَ شكرُ الله بالبيت والحَمْدُ
فطافَتْ به الرَّاجونُ مِنْ بركاته مزايا كمالٍ أودعَ الأبُ والجدُّ
فتىً بهدىٰ أسلافه الغُرِ يهتدي ولا زالت القُصَّاد تنحوهُ والوَفْدُ
له الصّدقُ في الأحوالِ مثلَ جدوده قديماً وغيرَ الأُسْدِ لا تلدُ الأُسْدُ
هم القوم سر يابن الجباوي بسيرهم وما هو إلاَّ الجذبِ في الله والوجدُ
ونفحةُ قُدْسٍ ندُّ ها مَنْ يَشمُّهُ فقدْ هام حتىٰ مالهُ مثلهم نَدُّ

واختتمها بقوله:

سلامٌ علىٰ السَّاداتِ مَنْ سكنوا جَبَا بني القطبِ سعدِ الدّينِ مَنْ لهم المجدُ
ونسلُ بني شيبانَ سادةُ معشرٍ بنور هداهم تبرأُ الأعينُ الرّمدُ
يخصُّهُم عبدُ الغني بتحيِّـة تعُمُّ بتسليمُ لهم مالَهُ حَدُ
علىٰ أمدِ الأوقاتِ ما هينمَ الصَّبا والت غصونٌ في حدائقها مُلْدُ

وقد بقيت الزاوية السعدية عامرة بحمد الله تعالىٰ علىٰ مرِّ الزمان، بفضلٍ من الله تعالىٰ وهمَّة مشايخ الطريق الذين لم يؤلوا جهداً في استقبال الوافدين عليهم ونشر طريقة جدهم القطب الغوث الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره.

فأعود لأشكر الأخ السيد الشريف سامر أن أتاح لي الفرصة برسم اسمي، وأن أكتب لعض العبارات في هذا السفر المبارك فجزاه الله خيراً، وله كذلك بصمة جميلة في مجالس الذكر في الزاوية السعدية بحب لجده الأعلى القطب الغوث سعد الدين الجباوي قدس الله سره.

والشكر لكل من ساهم في نشر تراث هذه الطريقة المطوي فوق رفوف المكتبات، ونرجوا من الله تعالى أن يُعيد مجد الطريق وأهله بنفع البلاد والعباد.

شيخ السجادة السعدية في زاوية الميدان

الشريف السيد أديب بن الشيخ نسيب السعدي الجباوي

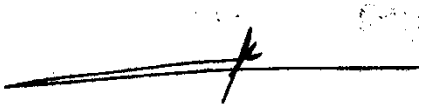

دمشق الشام. الزاوية السعدية العامرة بالميدان.

الثلاثاء 27 رمضان سـ1444ـنة / 18 نيسان سـ2023ـنة.

السيد الشريف سامر السعدي الجباوي

هو الحسيب النسيب الشريف السيِّد سامر بن سليم بن محمد بن سليم بن محمد بن محمود بن أحمد بن قاسم بن علي بن الشيخ سعد الدين بن إبراهيم أبو الوفا الجباوي، متولي وقف المسجد الأموي (١١٧٠/ 1756 ورواق جده الشيخ حسن) بن يوسف ابن عبد الباقي بن أبو بكر تقي الدين ابن بدر الدين دفين رواق والده ١٠٣٦/ 1626 ابن العارف بالله الشيخ حسن دفين دمشق (جامع الذبان ٩٨٨/ 1580 تربة آل البيت. تم نقل قبره الشريف ١٣٩٢/ 1972 ابن محمد الكبير ٩٤٠/ 1533 ابن محمد سعيد بن محمد سعد الدين بن أبو بكر تقي الدين ابن الشيخ إبراهيم الأنور المهاجر إلى قرية الذيب بعكا ٦٥١/ 1253 ابن الشيخ علي الأكحل ٥٩٠/ 1194 دفين رواق والده بجبا) ابن سيدي ومولاي وقَّرة عيني القطب السلطان الكبير الشيخ سعد الدين الجباوي الحسني قدس سره ورضي الله عنه ولد 460/ 1068 في مكة المكرمة. انتقاله 575/ 1180ودفن برواقه الشهير بجبا الشام ، وإليه النسبة، الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الإمام السبط الشهيد أبي محمد

الحسن المجتبىٰ رضي الله عنه ابن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول رب العالمينوقائد الغر المُحجلين سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وآله وصحبه وسلم.

- ولد السيد سامر السعدي الجباوي في مدينة أبو ظبي سنة 1986م وانتقل للعيش في دمشق مع والديه.

- تلقىٰ التربية والسلوك علىٰ يد كبار علماء وأولياء الشام منهم:

الشيخ العارف بالله شكري اللحفي الدمشقي.

والشيخ عبيد الله القادري.

والشيخ محمد غازي حسين آغا

والشيخ أبو أحمد محمد موعد.

والشيخ هيثم إدلبي في مسجد الأشمر.

والشيخ صباح الدين الرفاعي.

والشيخ فواز الطباع الحسني

والشيخ هشام عبيد القادري

والشيخ ياسر مزاوي القادري بدمشق.

- له إجازات شرعية عديدة، وحاصل علىٰ عدة خلافات في الطرق الإسلامية من كبار شيوخ الطرق الصوفية في مقدمنها الطريقة

السعدية الجَباوية العليَّة، والقادرية، والنقشبندية، والرفاعية، والدسوقية، والسنوسية، والسهروردية.

- كان له مشاركات عديدة في الدورات التأهيلية للمدرسين في مسجد زيد بن ثابت بدمشق، وكان من المتفوقين فيها، كما كان له حلقات علمٍ يدرس فيها في مساجد دمشق.

- له خلافة بالطريقة العلية القادرية من الشيخ العارف بالله عبيد الله القادري

- إجازة بالطريقة الرفاعية من الشيخ صباح الدين الرفاعي الحسيني

- إجازة بالطريقة الرفاعية من الشيخ فواز الطباع الحسني

- إجازة في الطريقة الجباوية من الشيخ عبدالملك سعد الدين الجباوي. دمشق القيمرية.

- وإجازة في الطريقة السعدية الجباوية من الشيخ محمد غازي حسين آغا

- خريج المعهد الهندسي للإلكترون

- باحث بعلم الأنساب

- حاصل على شهادة دكتوراه فخرية بعلم الأنساب

- يشغل منصب خادم السادة الأشراف السعدية الجباوية الحسنية

- له مشاركات عديدة في تأسيس مجالس الذكر بألمانيا
- مشارك بتحقيق مخطوطات وتراث وعلوم آل البيت عليهم السلام
- أمين نسب السادة الحسنية بنقابة أشراف سورية
- أمين نسب السادة السّعدية الجباوية الحسنية
- أمين الآثار النبوية الشريفة.

مع تحيات فريق الا ٔكاديمي لتحقيق مخطوطات وتراث آل البيت
السيد الشريف سامر بن سليم السعدي الجباوي الإدريسي الحسني

تقريظ العارف بالله الشيخ مصطفي بن كمال الدين البَكْري الصديقي

رحمه الله على مخطوط الرسالة.

الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية
لحضرة مولانا امام العارفين
الشيخ محمد شمس الدين السعدي الحلبي
قدس الله سره العالي

صورة ما كتبه سيدي العارف بالله السيد مصطفى البكري الصديقي على ظهر نسخة من هذه الرسالة الشريفة وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على نعمه الخفية والجلية والصلاة والسلام على سيد اهل الرتب العلية وعلى آله وصحبه اولى المراقي العلية وبعد فقد وقفت على هذه الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية فرايتها كافية وفية في مدح السادة البجاوية اهل المراتب المجدية والمناقب الاحمدية فجزا الله مؤلفها خير ما اطلع الابدية وقدس الله على بالنسبة الى هؤلاء السادات الامجدية فان امم جدي على اقتدى منهم امدنا الله بامداداتهم الحالية واحوال هؤلاء الطائفة الارشدية ظاهرة باهرة في المراتب الاصطفائية فرضي الله تعالى عنهم ونفحنا بنفحات انس منهم غيوثها السعدية ورضي عن كل منتسب لهم من التلامذة والمحبين في ذواتهم الاكملية قال ذلك وكتبه فقير عفو رب البرية مصطفى السبط الصديقي قدسنا الله باسرار هذه الطائفة الارفية ومن علينا بحبهم وحب من ينتمي اليهم من كل ذي نفس قدسية آمين تحريرا في اوائل ذي القعدة الحرام سنة ١١٦٠ انتهى بحروفه

الشيخ مصطفي بن كمال الدين البَكْري الصديقي.

هو فقيه حنفي صوفي جَمَع بين الطريقتين الخَلْوتِيّة والقادرية، وكان فقيهاً وأديباً وشاعراً ورحالة، وإليه تنسب الطريقة البكرية الخلوتية، ويعتبر من أشهر مجددي الطريقة الخلوتية في أواسط القرن الثاني عشر، ويصل إليه سند الطريقة الخلوتية الجامعة.

والبكري: نسبة إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث يصل نسبه إليه. ولد عام 1688م/ 1099هـ في دمشق، تلقى العلوم الشرعية على يد عدد من المشايخ، ثم اتجه إلى النسك والتعبد والتصوف، فأخذ الطريقة الخلوتية على يد الشيخ عبد اللطيف الحلبي، توجَّه بعد ذلك إلى السفر والترحال طلباً للعلم الشرعي، وقد زار بلاد عديدة منها القدس ولبنان ومصر وتركيا والعراق والحجاز، وانتشرت طريقته عبر أتباعه وتلاميذه في المغرب العربي. توفي في مصر ودفن في القاهرة سنة 1749م/ 1162هـ، وبلغ عدد أتباعه ومريديه أكثر من مائة ألف بحسب ما ذكره ابنه محمد كمال الدين، وقد أفرد ابنه ترجمته بكتاب سمّاه (التلخيصات البكرية في ترجمة خلاصة البكرية)، ذكر فيه بعض مزاياه وما كان عليه من الأحوال، وخصَّص له الشيخ يوسف النبهاني في كتابه (جامع

كرامات الأولياء) ترجمة طويلة ذكر فيها عدداً كبيراً من مؤلفاته التي تُقارب المائتين وأحزاب وأوراد أكثر من ستين. ومن مؤلفاته:

- الفتح القدسي والكشف الأنسي (ورد السَحَرْ)
- الدر الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق
- السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد
- العرائس القدسية المفصحة عن الدسائس النفسية
- رسالة الفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب، وغيرها كثير[1].

[1] – معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة. صلاح الدين المنجد (1978).

– الأعلام للزركلي : ج 7 ، ص 239.

التعريف بمؤسّس الطريقة السعديّة الجَاوية العَلية صاحب الأنفاس المحمديّة

سلالة النبوّة الطاهرة السلطان الشيخ سعد الدين الجاوي

الحسني الحُسيني الشيبي المكي الجناني قدس الله سره

هو الإمام المرابط المجاهد، الصوفي الكبير، القطب الرباني، والغوث الفرد المنير الصمداني، أبو المواهب والفتح والفتوح، فخر الطريقة، ومعدن الإرشاد والحقيقة، صاحب الفيوضات الإلهية، والفتوحات الربانية، والنفحات القدسية، والأنفاس المُحمَّدِيَّة، والعلوم اللدُّنيَّة، بحر الأسرار والأنوار المصطفوية، وصاحب الأنفاس المحمدية، فرع الشجرة الزكيَّة، وطراز العصابة الهاشمية، والدوحة المكيَّة، سُلالة النبوَّة الطاهرة، السلطان الشيخ سعد الدين الجَاوي الحسني الحُسيني الشيبي المكي الجناني قدس الله تعالى مكنون أسراره.

وهو علم من أعلام السادة الأشراف العلوية، والعترة الطاهرة النبوية، ومن أجل البيوت المكية شرفاً ونسباً وفضلاً، وقد جمع الله في هذا البيت شروط الرياسة والعلم والدين والشرف، وقد تقلدت هذه الأسرة من شرف النسب والسيادة والرسوخ في العلم

والمعارف أوائل وأواخر، وهذا البيت العامر الذي نشأ فيه الشيخ سعد الدين لم يفته في عصر – مع تباين الأقدار – شرف العلم والمعرفة، وحسن الاقتداء، والاهتداء مع تمام حفظهم لحرمة هذه المنزلة الرفيعة خلفاً عن سلف.

وقد توارث هذا البيت شرف الانتساب إلى النبي الكريم بالآباء والأمهات، ونال مزايا هذا الشرف الرفيع الأبناء والأحفاد فيما بعد.

ولد الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره بمكة المكرمة بغرة رجب سنة ١٠٦٨م/ ٤٦٠ هـ. وكان انتقاله يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١١٨٠م/ ٥٧٥ هـ، ودفن في جَبَا الشام في رباطه الشهير رضي الله تبارك وتعالى عنه، وهو ابن مربي المريدين ومرشد السالكين البحر المحيط، صاحب المدد والسّر الوهبي الشيخ يونس الحسني الشيبي دفين مكة المكرمة عند أسلافه الكريم بني شيبة أمناء بيت الله الحرام، حيث اشتهر بنسبه إليهم، بل هو ابن الشريف السيد عبد الله المغربي الحسني القادم من طرابلس الغرب إلى مكة المكرمة، ونزل في ضيافة السيد أحمد فيض الله الحجبي الشيبي الذي بيده مفاتيح الكعبة المشرفة، وبعد أداء

فريضة الحج زوجه ابنته السيدة فاطمة الشيبية الحسنية، فأولدها السيد يونس المذكور، ثم توفي والده الشريف السيد عبد الله ودفن في مكة المكرمة في المعلا، عند السادة بني شيبة، وترك ولده السيد يونس رضيعاً وبعد فطامه توفيت والدته السيدة فاطمة فكفله جده لأمه السيد أحمد فيض الله وأخواله، فنشأ بينهم وتربى بتربيتهم وعاداتهم، وعرف بهم ونسب إليهم، بل هو الشريف السيد الشيخ يونس الحسني الشيبي المكي ابن الشريف السيد عبد الله المغربي الحسني ابن السيد يونس الحسني دفين جبل غريان من أعمال طرابلس الغرب ابن السيد أبي السعود محمد الطيب الحسني الشيباني الجناني المهاجر من تونس إلى طرابلس الغرب ابن السيد علي الشريف الإدريسي الحسني الشيباني الجناني نسبة لأم جنان نواحي الأربعة في طرابلس الغرب، والشيباني نسبة إلى جده شيبان ابن البحر الرائق كنز، العلوم والحقائق، بركة الإسلام، السيد مؤيد الدين الإدريسي الحسني الشيباني دفين تونس، بجامع الزيتونة ابن السيد سعد الله الشهير بشيبان، دفين الزاوية الشيبانية بقابس من أعمال تونس، ابن السيد عبد الرحمن المجذوب الأكبر، ابن السيد علي المحجوب الإدريسي الحسني دفين مكناس، ابن السيد عبد الله

الإدريسي الحسني المراكشي دفين مراكش، ابن السيد عمر الإدريسي الحسني دفين فاس ابن مولاي الشريف السيد إدريس الأنوار، ابن مولاي الشريف السيد إدريس الأكبر، الذي فتح الله المغرب على يديه، ابن مولاي عبد الله المحض الشهير بالكامل، ابن مولاي الحسن المثنى ابن أمير المؤمنين السبط الشهيد الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام، ابن أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الإمام علي بن أبي طالب، زوج المطهرة البتول السيدة فاطمة الزهراء، ابنة خير خلق الله، سيد الإنس والجان وسيد ولد عدنان رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم [1].

[1] – رسالة في نسب الشيخ سعد الدين الجباوي وبعض أحواله وشمائله . المؤلف السيدمحمد غازي حسين آغا الحسيني سبط الشيخ سعد الدين السعدي الجَباوي . ص 5 – 6 – 7 . وكتاب الطريقة السعدية في بلاد الشام . محمد غازي حسين آغا . الفصل الثاني .

التعريف بمؤلف الرسالة رحمه الله تعالى وأسرته خلفاء الطريقة السعديَّة في مدينة حلب الشهباء

للطريقة السعدية انتشارها الواسع في بلاد إسلاميَّة كثيرة، وفي مدينة حلب الحاضرة الكبيرة قاعدة خلافة هذه الطريقة المُباركة التي توارثها أسرة ابن خليفة الزكي، الأسرة العريقة بالفضل والعلم والنسب في مدينة حلب الشهباء، واشتهرت بخليفتها وابن خليفتها الشيخ زين الدين عمر السعدي الحلبي وأولاده وذريته.

- الشيخ زين الدين عمر السعدي الحلبي

الشهير بابن خليفة الزكي. هو العارف بالله تعالى والمرشد الكامل الشريف السيِّد الشيخ زين الدين عمر بن الشيخ شهاب الدين أحمد ابن العالِم العامل العلامة محمد الخليفة بن زكي الدين الزكي. خليفة الطريقة السعدية الجباوية العلية في حلب الشهباء عن أبيه وجده وعن مشايخ هذه الطريقة في دمشق الشامِ وسائر البلاد الإسلاميَّة في زاويتها العامرة بحي الميدان. مع ملازمتهم لمشايخ هذه الطريقة في دمشق الشام.

رافق الشيخ زين الدين عمر الشيخ حسين ثم ولده الشيخ أحمد السعدي الجباوي الدمشقي الميداني في بعض أسفارهم إلى القدس

الشريف، وفي بعض السياحات التي دوّنها في بعض مؤلفاته عن رجال الطريقة السعدية.

قال رضي الدين محمد الحنبلي في ترجمته: الشيخ زين الدين الحلبي الصوفي، المشهور بابن خليفة، شيخ الطائفة السعدية بحلب.

شيَّد الشيخ عمر زين الدين زاويتة بالقرب من حمَّام القواس خارج باب النصر ووضع بها أعلام الصوفية، وتعاطىٰ مصالحها في البسط والتنوير وغير ذلك. وأنشأ له مدفناً ملاصقاً لها، له شباك مشرف علىٰ الطريق،وبه دفن شهيداً بالهدم، وكانت وفاته سنة 946 هـ [1].

وكان للشيخ عمر ووالده وأجداده التولية والخطابة والتدريس والإمامة في جامع الزكي الذي اشتهر باسم جده الزكي عندما جدده وأوقف عليه وقفاً كثيراً يصرف لمصالحه، ثم تسلسلت التولية في ذريته.

يقول أبو الوفا العرضي في ترجمة ولده الشيخ محمد وذكر مؤلفاته: (وكذلك والد الشيخ محمد اسمه الحاج عمر ألف كتاباً سماه: (العُمَرِيَّة). ذكر فيه مناقب الشيخ سعد الدين الجباوي [2].

---

[1] – در الحبب في تاريخ أعيان حلب . رضي الدين محمد الحنبلي. ج ١، ص ١٠٢٩.

– الكواكب السائرة ج ٢ ، ص ٢٢٦ .

[2] –معادن الذهب في الأعيان المشرقة بهم حلب . أبو الوفا العرضي/ ص ٢٤٥.

أما أخوه الشرف قاسم فقد ذكره ابن الحنبلي في تاريخه فقال: الشيخ شرف الدين أبو الوفا، وأبو السعادات الحلبي الشافعي، المعروف بابن خليفة الزكي، ولد بحلب ليلة العيد الأكبر سنة 877 هـ، على ما اخبرني هو به، ونشأ بها فاهتم به والده، وكان متمولاً، فاشترى له نفائس الكتب، وحمله على تحصيل العلم، فلازم الكثير من العلماء وقرأ وسمع وأجيز له، وتردد إلى فضلاء حلب، وغيرهم ممن نزل بساحتها وقطن بباحتها. وكان له ثبت في العلم شهير أجاز به علماء حلب وعلماء عصره. وأخته ست المُنى، شيخة دِّينة خيِّرة مُعمِّرة، جاورت بالخانقاه العادلية بحلب.

- الشيخ شمس الدين محمد السعدي الحلبي

هو المرشد الكامل الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ زين الدين عمر السعدي الشافعي، الشهير بابن خليفة الزكي، وهو الذي خلف والده في الجلوس على سجادة الإرشاد في زاويتهم خارج باب النصر، مع التولية على جامع الزكي والخطابة والتدريس والإمامة فيه، وفي حلقتهم في الجامع الأموي الكبير.

ذكره أبو الوفا محمد العرضي في ترجمة ولده فقال: فرع دوحة أصلها ثابت ظاهر، وثمرة سرحه حين صلاحها باهر، شذرة من من معدن الولاية، ونهلة من ينبوع الهداية، سليل الأماجد، دعامة ريع الصلاح، صفوة ألباب النجاة والنجاح، تتعطَّر أردان التقوىٰ من ذكرهم، وترتاح السرائر بنفحات سرِّهم، ورثوا المشيخة نبيلاً عن نبيل، ورفعوا أعلام التوحيد جيلاً بعد جيل، صرفوا الأوقات في الأذكار والعبادات، وشبَّبوا بذكر سُليمىٰ وليلىٰ وبُثينة برموز الإشارات، المذكور من أعيان المشايخ السَّعديِّة، المنسوبين في الخلافة إلىٰ الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره العزيز. وكان الشيخ محمد فاضلاً كاملاً صالحاً صاحب كرامات، وكان له خط حسن، وقد ألَّف الشيخ محمد كتاباً اسمه (المحمديَّة)[1]، ذكر فيه مواعظ وكرامات للأولياء، واستطرد إلىٰ ذكر الشيخ سعد الدين الجباوي أستاذه، وكذلك صنف (مجالس وعظ) تشتمل علىٰ آيات

[1] – المقصود بذلك : الرسالة المحمديَّة في الرَّد عن السادة السعدية .

– تراجم الأعيان للبوريني ج ١ ص ٤٠.

– معادن الذهب ص ٢٤٣ .

قرآنية، وأحاديث نبوية، ومعانٍ مهذبة، ومسائل مرتبة غاية ما في الباب، وله حلقة ذكر في الجامع الكبير يوم الجمعة يجتمع فيها المائة رجل. هو مؤلف: الرسالة المُحمَّدِيَّة في الرَّدِ عن السادة السَّعدِيَّة. وله شرح لطيف على صحيح الإمام البخاري. توفي رحمه الله تعالى في أواخر القرن العاشر الهجري ودفن بجانب والده في زاويتهم بباب النصر.

ويقول الشيخ راغب الطباخ في تاريخه أعلام النبلاء في تارخ حلب الشهباء، أن أحد أحفاده أطلعه على مؤلفات أجداده وكذلك على وقفيتهم المؤرَّخة سنة 974/ 1566.

- الشيخ أبو الوفا السعدي الحلبي

هو المرشد الكامل الشيخ أبو الوفا بن الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ زين الدين عمر الشهير بابن خليفة الزكي السعدي الشافعي. الذي خلف والده في الجلوس على سجادة الإرشاد في قاعدة هذه الخلافة في مدينة حلب الشهباء بزاويتهم الشهيرة خارج باب النصر، مع التولية على جامع الزكي والخطابة والتدريس والإمامة، وفي حلقتهم بالجامع الكبير. وهو من خلفاء هذه الطريقة في سند إلباس الخرقة وأخذ العهد والتلقين. توفي سنة

1010 هجرية ودفن في زاوية جده. ذكر له ترجمة الشيخ أبو الوفا محمد العرضي في كتابه معادن الذهب.

- الشيخ شهاب الدين أحمد السعدي الحلبي

هو المرشد الكامل الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ زين الدين عمر الشهير بابن خليفة الزكي. الذي خلف والده في الجلوس على سجادة الإرشاد في قاعدة هذه الخلافة في مدينة حلب الشهباء بزاويتهم الشهيرة خارج باب النصر، مع التولية على جامع الزكي والخطابة والتدريس والإمامة، وفي حلقتهم بالجامع الكبير. وهو من خلفاء هذه الطريقة في سند إلباس الخرقة وأخذ العهد والتلقين. وهو الولي الصالح والمرشد الكامل.

يقول أبو الوفا العرضي في تاريخه: (الشيخ أحمد بن الشيخ محمد ابن عمر السعدي، المشهور بابن خليفة الزكي... المكتسي من التقوى الحلل الضافية، والمستنهل من غير الصلاح الموارد الصافية، راقي المعالي بالسلف العالي، من انبجست أنوار هداه من ينابيع الأذكار، وهطلت عليه بركات أسلافه بالسحاب المدرار من سماء الأسرار. لزم خبايا زواياه، وملأ من الافتقار إلى الله الأوعية

من ركاياه، قد استنار محياه صبحا ونطق سكون سكينته عظة ونصحاً، مع لين الجانب وخفض الجناح، واقتفاء مناهج النجاة والنجاح، آلت إليه الخلافة بعد موت أخيه على فقرائه، ولآزم زاويته لا يخرج إلا يوم الجمعة إلى الجامع لإقامة حلقة الذكر، وصبر على مرارة الفاقة، وبذل قراه للواردين، وكان كلما كبر سناً ازداد خيراً وصلاحاً، وكلما طال عمره حسن عمله... وكم من تائب على يديه، وخاضع ومعتقد بعد الاعتراض أتاه... وكنت الفقير، معتقده ومحبه، دعانا إلى زاويته مراراً، وأرانا تأليف والده، شرح والده البخاري على أساليب مجالس الوعظ بخطه الحسن، وذكر فيه مسائل حسنة، وفوائد نفيسة، وله تأليف جمع فيه مناقب شيخه سعد الدين، ومناقب أولاده من بعده، مات سنة أربع وثلاثين وألف، ودفن بزاوية جده رحمه الله تعالى)[1].

ذكر له ترجمة حافلة الشيخ أبو الوفا العرضي صاحب كتاب معادن الذهب، وكذلك المحبي في خلاصة الأثر.

[1] معادن الذهب ص 168 . وكذلك خلاصة الأثر ج1 ، ص 298 .

سلسلة خلافة الطريقة السعدية الجَباوية العلّيَة في مدينة حلب الشهباء

في قاعدة هذا البيت العريق بالعلم والنسب.

الشيخ أبو الوفا واخيه الشيخ أحمد عن والدهما المرشد الكامل الشيخ شمس الدين محمد مؤلّف الرّسالة المُحمَّديَّة في الرَّد عن السادة السَّعديَّة عن والده الشيخ زين الدين عمر السعدي الحلبي الشهير بابن خليفة الزركي عن والد وعن الشيخ حُسين شيخ مشايخ الطريقة السعدية في دمشق الشام في زاويتها العامرة بحي الميدان وفي سائر البلاد الإسلامية وهو عن والده القطب الولي الشيخ حسن الكبير الجَباوي الجَناني الميداني قدس الله سره. (ولد سنة 801 توفى سنة 914) عن والده الشيخ مُحمَّد عن والده الشيخ مُحمَّد الكبير عن والده الشيخ أبي بكر تقي الدين عن والده القطب الغوث الأجل

الأكمل الشيخ علي الأكحل قدس الله سره

عن والده القطب الربّاني والغوث الفرد الصَّمَداني

سُلالة النُّبوَّة الطاهرة السلطان الشيخ سعد الدين الجَباوي

الحسني الحُسيني الشيبي المكي الجَناني قدس الله سره

ولد قدس سره في غرة رجب سنة 460 وانتقاله في جبا الشام يوم الخميس 29 ذي الحجة سنة 575 .

أمّا سنده في الطريق فهو عن والده عماد هذه الطريقة المُباركة الشيخ يونس الحسني الشيبي المكي قدس سره وهو عن الشيخ أبي بكر النسّاج عن الشيخ أبي القاسم الجرجاني عن الشيخ أبي عثمان المغربي عن الشيخ أبي علي الكاتب عن الشيخ أبي علي الروذباري عن سيد الطائفتين الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي عن خاله الشيخ سري السقطي عن الشيخ معروف الكرخي عن الإمام علي الرضا عن والده الإمام موسى الكاظم عن والده الإمام جعفر الصادق عن والده الإمام مُحمَّد الباقر عن والده الإمام علي زين العابدين عن والده

الإمام أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد عليه السلام عن والده

أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن ابن عمّه

سيد الأولين والآخرين النَّبي المصطفى الأكمل

سَيّدنا مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم

*

وصف مخطوط الرسالة المُحمَّدية في الرَّد عن الطريقة السَّعديَّة

لهذه الرسالة أهمية بالغة، وقد وجدنا لها نُسخ عديدة في المكتبات الخاصة والعامة وزوايا السادة الصوفية، وزوايا الطريقة السعدية في البلاد العربية وتركيه. ولم نتمكَّن من الحصول على النسخة الأم والتي هي بخط مؤلفها بسبب الظروف التي نحن فيها الآن. وبين أيدينا الآن ثلاث نُسخ خطيَّة مُعتمدة، نسختان محفوظتان في مكتبات تركيه، والثالثة محفوظة في الزاوية السعدية بدمشق، وهي بخط المرشد الكامل الشيخ إبراهيم السعدي مرشد الطريقة السعدية في زاوية مقام التوحيد بالقيمرية. وتمَّ اعتمادنا على النسخة الأولى ومقابلتها بالدرجة الأولى على النسخة الثالثة المحفوظة بزاوية مقام التوحيد بدمشق لدقتها، ثم النسخة الثانية.

النسخة الأولى: وهي النسخة المعتمدة في تحقيقنا للرسالة. وهي من محفوظات المكتبة السليمانية بتركيه. وعليها تملُّك باسم علي أفندي مع خاتمه.

- الناسخ: ؟.
- تاريخ النسخ: في 20 رمضان سنة 1110/ 1699.

- تقع الرسالة في 43 ورقة. 86 صفحة. وهي بخط فارسي جيد. نُسخت بحبر أسود، ومجدولة بخط أحمر. والنص ضمن إطار بحبر أحمر مُفرد. أمَّا الصفحة الأولىٰ والثانية فهما بإطار مزدوج.
- مسطرة المخطوط: 24/ 16سم.
- عدد الأسطر: 19 سطراً. عدد كلمات السطر نحو: 9 كلمات.

وأُلحق بآخر الرسالة فتوىٰ الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري وهي: (النُصرة الإلهيَّة للطائفة السَّعديَّة). وهي بنفس الخط وتقع في 4 أوراق. 8 صفحات.

وبآخر المخطوط. فتوىٰ العلاَّمة الشيخ شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر المكي. وهي في ورقة واحدة. 2 صفحة.

النسخة الثانية:

الناسخ: ؟.

تاريخ النسخ: قدَّرناه نحو سنة 1130 هجرية. وذلك بحسب تاريخ ختم الواقف ونقشه: (ممَّا وقفه الوزير الشهيد علي باشا رحمه الله تعالىٰ بشرط أن لايخرج من خزانته. سنة 1130).

تقع الرسالة في 58 ورقة. 116صفحة. وهي بخط نسخي جيد. نُسخت بحبر أسود، ومجدولة بخط أحمر. الصفحة الأولى والثانية فقط ضمن إطار مزدوج وبحبر أحمر. عليها تملَّك باسم إبراهيم ابن الشيخ سعد الجين الجباوي مع خاتمه.

النسخة الثالثة:

الناسخ: الشيخ إبراهيم السعدي. مرشد الطريقة السعدية في زاوية مقام التوحيد بدمشق القيمرية. (1265/ 1848–1343/ 1924).

تاريخ النسخ: سنة 1312 هجرية. ويُشير الناسخ إلى أنها منسوخة عن الأصل وهي بخط مؤلفها، وعليها تقريظ الشيخ مصطفى البكري.

تقع الرسالة في 64صفحة من القطع الوسط. وهي بخط نسخي جميل. نُسخت بحبر أسود، والنص ضمن إطار بحبر أسود مزدوج. تم نسخها بعناية ودقَّة. وأوقفها لجهة الزاوية السعدية المُشار إليها.

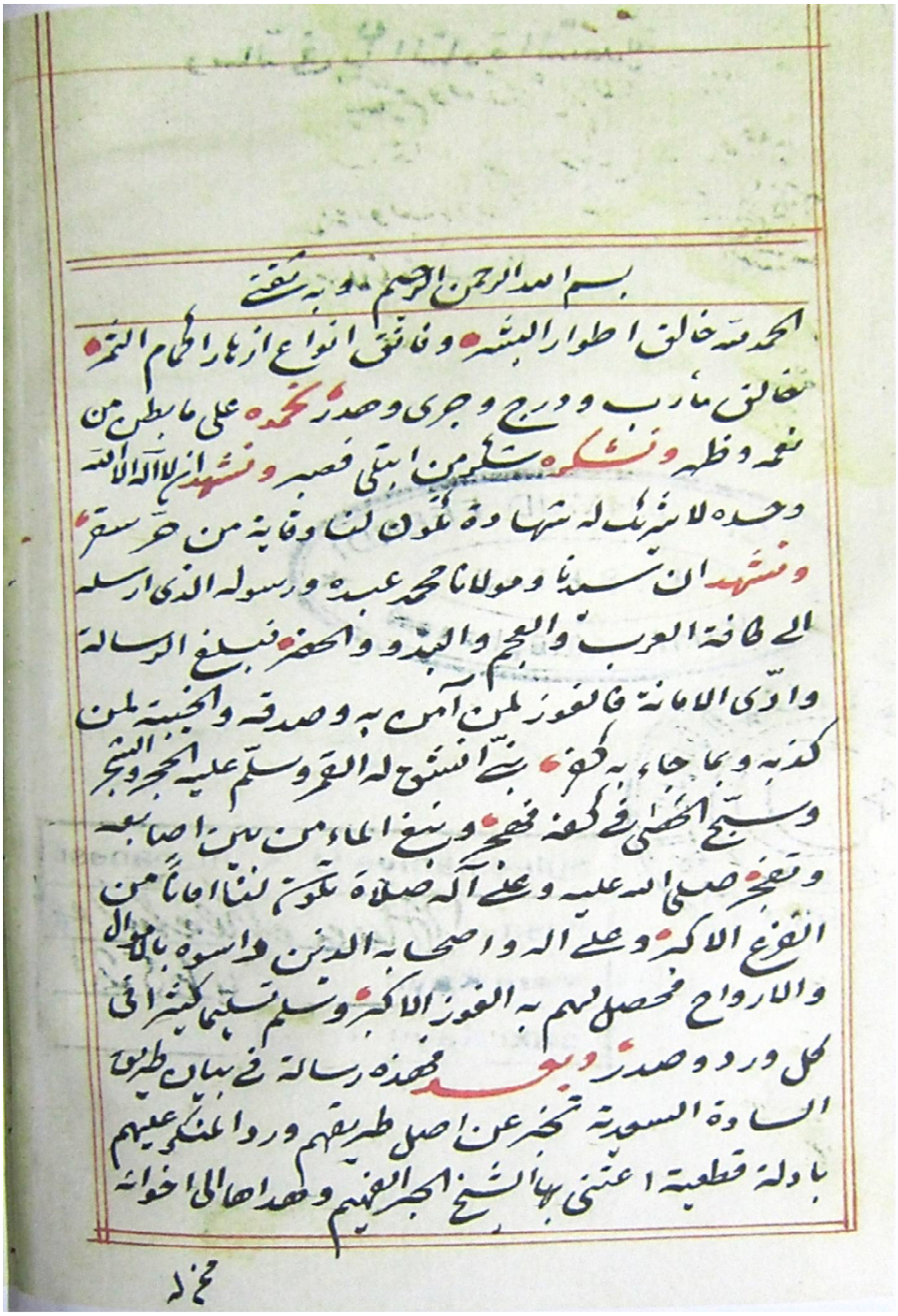

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله خالق اطوار البشر وفائق انواع ازهار اكمام الثمر
خالق ماذرأ وبرأ وجرى وصدر نحمده على ما بطن من
نعمه وظهر ونشكره على من ابتلى فصبر ونشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة تكون لنا وقاية من حر سقر
ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي ارسله
الى كافة العرب والعجم والبدو والحضر فبلغ الرسالة
وادى الامانة فالفوز لمن آمن به وصدقه والخيبة لمن
كذبه وبما جاء به كفر بنى انشق له القمر وسلم عليه الحجر والشجر
وسبح الحصى في كفه فجر ونبع الماء من بين اصابعه
وتفجر صلى الله عليه وعلى آله صلاة تكون لنا امانا من
الفزع الاكبر وعلى اله واصحابه الذين واسوه بالاموال
والارواح فحصل لهم به الفوز الاكبر وسلم تسليما كثيرا الى
كل ورد وصدر وبعد فهذه رسالة في بيان طريق
السادة السعدية تخبر عن اصل طريقهم ورد المنكر عليهم
بادلة قطعية اعتنى بها الشيخ الحبر العلم وهداها الى اخوانه

محمد

الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة في تحقيق هذه الرسالة.

وهي مؤرَّخة سنة 1110 هجرية.

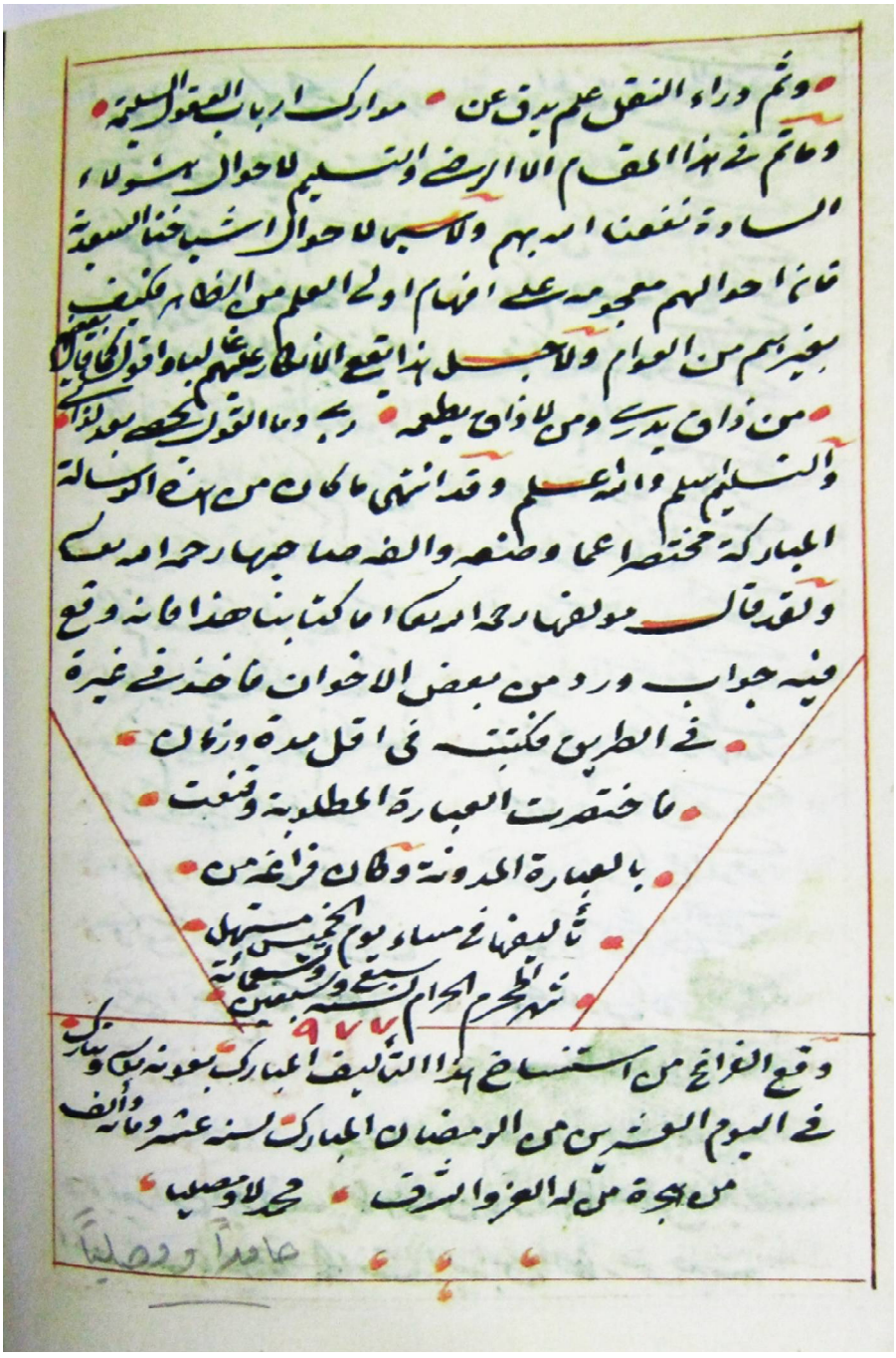

الصفحة الأخيرة من الرسالة المعتمدة في التحقيق.

والمؤرَّخة سنة 1110 هجرية.

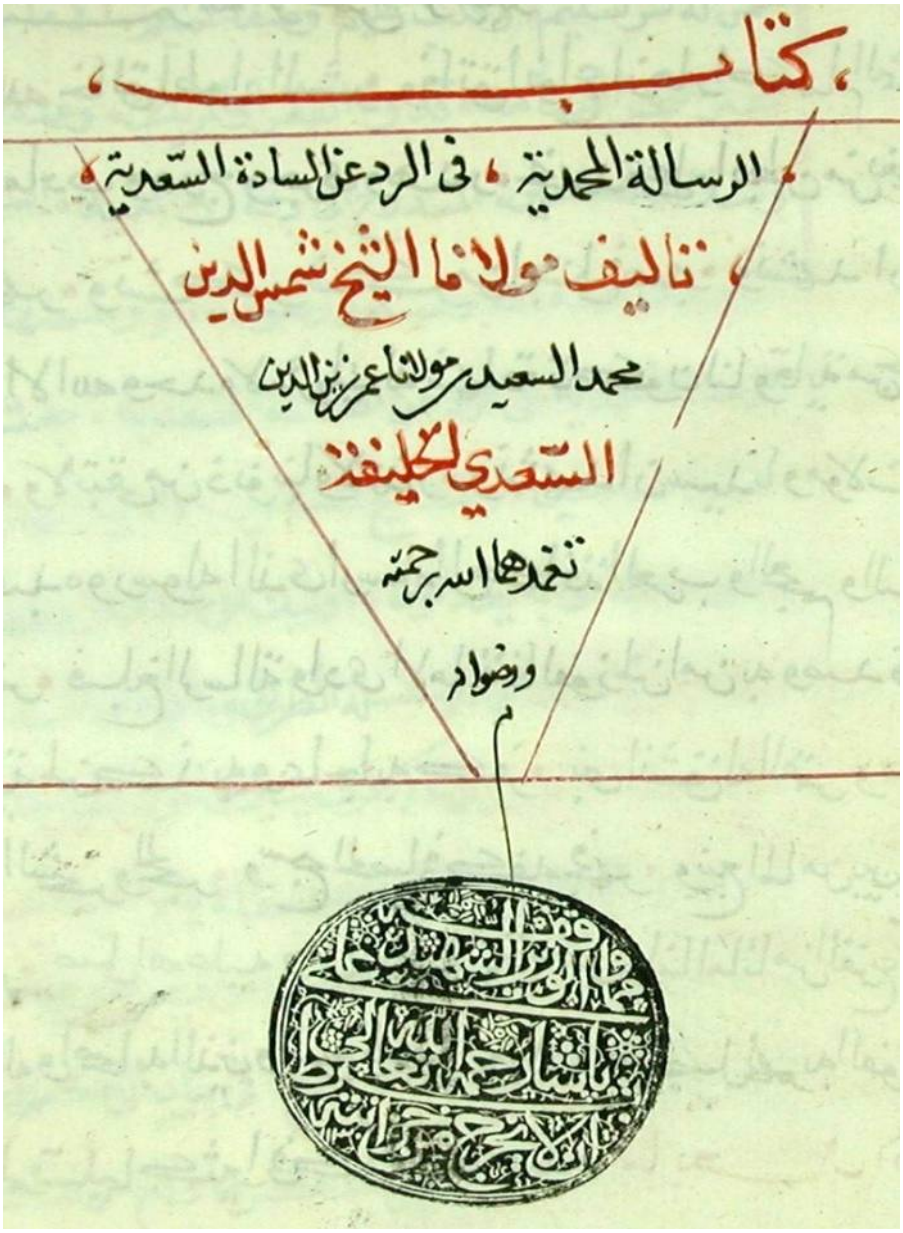

الصفحة الأولى من النسخة الثانية المعتمدة في تحقيق الرسالة. وعليها ختم الوزير علي باشا، وكانت نهاية ولايته الثانية على بغداد سنة 1109/ 1698، وتاريخ ختم الواقف فهو سنة 1130 هجرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق اطوار البشر ● وفاتق انواع ازهار اكمام الثمر
خالق ما دب ودرج وجرى وهدر ● نحمده على ما بطن من
نعمه وظهر ● ونشكره شكر من ابتلى فصبر ● ونشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا وقاية من حر سقر ●
ونشهد ان سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذي ارسله
الى كافة العرب والعجم والبدو والحضر ● فبلغ الرسالة وادى الامانة
فالفوز لمن آمن به وصدقه والخيبة لمن كذبه وبما جاء به كفر ●
نبي انشق له القمر وسلم عليه الحجر والشجر ● وسبح الحصى في كفه
فجر ● ونبع الماء من بين اصابعه وتفجر ● صلى الله عليه وعلى آله
صلاة تكون لنا امانا من الفزع الاكبر ● وعلى آله واصحابه الذين
واسوه بالاموال والارواح فحصل لهم به الفوز الاكبر ● وسلم
تسليما كثيرا في كل ورد وصدر ● وبعد فهذه رسالة في بيان
طريق السادة السعدية . تخبر عن اصل طريقهم ورد المنكر عليهم بأدلة

الصفحة الأولى من النسخة الثالثة المحفوظة في مكتبة الزاوية السعدية مقام التوحيد القيمرية بدمشق. وهي بخط المرشد الكامل الشيخ إبراهيم السعدي سنة 1312 هجرية.

الرسالة المحمّديّة
في
الرّدّ عن السّادة السّعديّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق أطوار البشر، وفاتق أنواع أزهار أكمام الثمر، خالق ما دبَّ ودرج وجرىٰ وهدر، نحمده علىٰ ما بطن من نعمه وما ظهر، ونشكره شكر من ابتلي فصبر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا وقاية من حر سقر، ولا تُبقي من ذنوبنا ولا تذر، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذي أرسله إلىٰ كافة العرب والعجم والبدو والحضر، فبلَّغ الرسالة وأدَّىٰ الأمانة فالفوز لمن آمن به وصدقه، والخيبة لمن كذبه وبما جاء به كفر، نبي انشق له القمر وسلَّم عليه الشجر والحجر، وسبَّح الحصا في كفه فجهر، ونبع الماءُ من بين أصابعه وتفجر، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله صلاة تكون لنا أماناً من الفزع الأكبر، وعلىٰ آله وأصحابه الذين واسوه بالأموال والأرواح فحصل لهم به الفوز الأكبر، وسلم تسليما كثيرا في كل ورد وصدر أما بعد... فهذه رسالة في بيان طريق السادة السعدية تخبر عن أصل طريقهم، ورد المنكرين عليهم بأدلة قطعية، اعتنىٰ بها الشيخ الحبر الفهيم، وهداها إلىٰ إخوانه ممَّن له سر سليم وقلب عليم، وصفاً عميم، الإمام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة، قدوة الفقراء والمريدين، وعمدة الطلبة والمجتهدين، وسلالة أولياء الله الصالحين، المندرج إلىٰ رحمة

ربه المعيد المُبدي، مولانا وسيِّدنا الشيخ شمس الدين محمد السعدي، تغمده الله برحمته ورضوانه، وجعل قبره روضة من رياض جنانه. ثمَّ قال رضي الله عنه: ورتَّبتها على خمسة أبواب وخاتمة، نذكر فيها سلامة الصدر وحسن الخاتمة، ووسمتها حين رسمتها **بالرِّسالة المحمَّدية في الرَّد عن السَّادة السَّعدية**، جعلنا الله في بركات الفقراء العاملين، والمشايخ الصالحين، والأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون، أوليك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون.

الباب الأول: في ذكر سلسلة الطريق وما فيه من السند والتدقيق.

الباب الثاني: في ذكر طرفٍ يسير من أحوال أشياخنا الكرام وما وقع عليهم من الأحوال المشهورة عنهم في الأيام.

الباب الثالث: في ذكر الوجد والأحوال الواردة من فيض الله على أوليائه المحفوفين بعناية الله.

الباب الرابع: في بيان إلى كم ينقسم إلى جلي وخفي.

الباب الخامس: في بيان ذكر ما وقع من فتاوىً علماء الإسلام.

في الذكر إن كان بنيّته وإن وقع فيه تغير الفاظٍ من العوام.

الخاتمة: في بيان حُسن الاعتقاد وما فيه من كسر القلوب بالانتقاد.

الباب الأول

في ذكر سلسلة الطريق وما فيه من السند والتدقيق

اعلم أن للشيخ سعد الدين الجباوي الجناني قدس الله روحه سندان أحدهما وهبي والآخر كسبيي. فأما **الوهبي** هو ما رواه سيدي الشيخ محمد شمس الدين [1] ابن مولانا العارف بالله تعالى

---

[1] – الشيخ شمس الدين محمد الأنور (أبو العلا) الذي حمل لواء هذه الطريقة المباركة بعد والده ، وعليه تجمعت هذه الأسرة في قيادتها وحسن توجيهها ، وإليه يعود الفضل في نشر هذه الطريقة وتدوين مبادئها ، وتعداد مناقب وأحوال مؤسسها والده الشيخ سعد الدين قدس الله سره وقد جمع معجماً وثبتاً كبيراً لشيوخ والده الذين أخذ عنهم علمه ومعارفه في مكة المكرمة ، وفي بلاد الإسلام، عند ارتحاله هنا وهناك. ويقع هذا المعجم في مجلد ضخم من القطع الكبير. ودوَّن كذلك رحلات والده في طلب العلم والزيارة وما حدث له من وقائع كثيرة تستحق التدوين، وذكر من لقيهم فيها من الرجال العارفين وعلماء هذه الأمة. وهذا الكتاب متمم للكتاب الأول المعجم والثبت ، ويقع هذا الكتاب في مجلدين من القطع الكبير. وجمع كذلك مناقب والده ومآثره وترجمة لأحواله ، وذكر شمائله وكراماته التي جرت على يديه، وهو كذلك يقع في مجلد من القطع الكبير .

ويُذكر في نسب السادة السعدية الذي كان اعتمادي عليه وفي غيره من أنساب السادة السعدية أنه توفي في جَبَا الشام ودفن في قبة والده ، وكان قبره ظاهراً إلى الجنوب من ضريح والده ، وعندما وسعّوا المسجد سنة 1354/ 1935 أزالوا

إمام المريدين وزمام الذائقين، وقدوة السالكين، وعمدة أهل التمكين، صاحب الوقت في التفريد، وشرف كل طالب ومريد، مُتمِّم الأنفاس الرحمانيَّة، وبحر العلوم اللدنيَّة، قطب الأقطاب، وعين الأنجاب، وغوث الزمان، وعين الأعيان، القطب الفرد الجامع الرباني، والغوث الصمداني، سيدي الشيخ سعد الدين الجباوي الجناني قدس الله روحه، ورزقنا فتحه وفتوحه، وأفاض علينا من فائض فيض بحر عرفانه، وجعلنا من بعض مماليكه وخدَّامه وغلمانه، على أن والده أعنى سيدي الشيخ سعد الدين المذكور كان في زمن أبيه الشيخ يونس الشيباني قد ندَّ عن طاعته واشتغل بلهوه وبطالته، وخرج إلى أرض حوران وأقام بها يقطع الطريق برهة من الزمان، فسمع والده الشيخ يونس الشيباني بفعل ولده فاهتم

ظاهر الضريح وإشارته وفرش فوقه . وما يزال مرقده في باطن الأرض[1] .

والشيخ شمس الدين محمد الأنور هو المُسنَّد الأول في سلسلة رجال الطريقة السعدية العلية عن والده ، وهذا باعتبار النُزول في سند الطريقة ، حيث أن السادة الصوفية يعتبرون النزول في السند ، لأنه كلما كثر رجال الطريقة في السند كان استمداد المريد من أرواحهم وفيوضاتهم ونوال بركاتهم أكثر .

يُنظر : كتاب (الطريقة السعدية في بلاد الشام . محمد غازي حسين آغا) . ج/ 2 – ص/ 17 .

لذلك [1] ودعا إلى الله في أمرين إما لإصلاحه وإما لأخذه في وقته فاستجاب الله دعاءه في إصلاحه، فبينما هو على ما هو عليه إذ رأى

[1] – هكذا شاع من أمر الشيخ سعد الدين ، ولكن سبقت هذه المرحلة من حياة الشيخ سعد الدين قدس الله سره بدايته في مكة المكرمة ، وهي مرحلة التربية والإعداد ، وتلقي علومه ومعارفه في الحرم المكي ، وضمن أروقته بين علماء وأعلام كبار، من مقيمين ومجاورين وزائرين، حيث نشأ فيها الشيخ سعد الدين قدس الله سره تحت رعاية والديه ، فقد ذكر عنه أنه كان ذكياً موهوباً جميل الصورة، ندي الصوت ، مولعاً بالفروسية وركوب الخيل والكر والفر والرماية حتى لُقب في بدايته بفارس مكة المكرمة .

ويذكر أنه ما رآه أحد من أعيان هذه الأمة إلا وتوسم فيه الرفعة ، والسيادة، والنجابة ، والوراثة المحمدية ، في هذه الأمة ، وأنه سيكون واسطة العقد المحمدي في زمانه ، وأن فتوحه سيكون في بلاد الشام .

ووجَّه الشيخ يونس الحسني الشيبي قدس الله سره ولده سيدنا سعد الدين وإخوته وفتوَّة من مكة المكرَّمة وبلاد الحجاز للالتحاق بجيش المجاهدين في بلاد الشام للجهاد المُقدس لطرد الغزاة الصليبيين سنة 463/ 1099.

وتوجَّهت القافلة من مكة المكرمة ، ومعها فارس مكة المكرمة الشيخ سعد الدين قدس الله سره، وعندما وصلت القافلة إلى الجولان تجاه جبل الحرمون (جبل الشيخ) وبعيداً عن قواعد الغزاة الصليبيين، خرج على القافلة جماعة كثيرة من العرب العصاة سكان المنطقة (قطّاع الطريق) ولم يعلموا أن فيهم فُرساناً أشداء خرجوا طوعاً للدفاع عن ديار الإسلام . فكروا عليهم لأخذ ما عليهم من أمتعة وأموال كعادتهم ، وعلت أصوات النساء بالبكاء وأخذهم الخوف مما هم فيه،

وعندما اقتربوا من القافلة ، كرَّ عليهم فارس مكة المكرمة وصاح فيهم، فجبهُهُمْ جَبْهَ الفارس الشجاع المتمرس ، وتبعه أخوته ورفاقه ، فنفروا عن القافلة ، ولكنهم تابعوهم ، وفي مقدمتهم الشيخ سعد الدين قدس سره حتى اسوثقوهم وأمسك الشيخ سعد الدين قدس سره بزعيمهم، فوجد فيه الفارس المتمرس الذي لا يقوى على مُنَازلته ، فقال له : (إن أبقيت على حياتي فأنت سيّدٌ علينا ونحن جندك ...).

ثم تابعت القافلة طريقها إلى دمشق الشام ، وخرج الشيخ سعد الدين قدس سره مع العصابة إلى الجبل وأخذ مكانه هناك ، وشاع الخبر عن طريق القافلة أن فارس مكة المكرمة انتظم في هذه العصابة التي أرهبت قوافل المسلمين في تلك الظروف الصعبة التي ساد فيها الفوضى والقتل والسلب والنهب. وكأن الشيخ قدس سره وجد نفسه مكلفاً في معالجة هؤلاء العصابة ومداواة نفوسهم وتوجيههم، وإزالة ما علق في نفوسهم من رعونتها وتسلطها واستقلالها، وبُعدها عن موجدها، وابتلائها برؤية حظوظها ، ويراهم قد فقدوا الطبيب والمرشد والدليلَ إلى طريق الهدى ، حتى استعملوا قوتهم وشجاعتهم وفروسيتهم لغير ما أمرهم به الله . فحملهم الشيخ سعد الدين قدس سره على التحلي بأخلاق الرجال العظام الذين يسترعون اهتمامهم ، وكأنه يرى أن ما ينفع هؤلاء هو بالتأكيد لا ينفع غيرهم من السالكين ، لذا فلم يبدأ بهم بالتوبة والإنابة ، ولكن أراد أن يُحقق فيهم شخصيتهم ، ويرسم لهم طريقهم في الأخذ بأخلاق وآداب الرجال ، أصحاب الهمم العالية في الرجولة والشيم والإيثار ، بل صوَّر لهم الصورة الحقيقية لمعنى الرجولة والشجاعة والإقبال ، ولا شك أن خطابه لهم كان على قدر ما يفهمون ، بل أعطى لنفوسهم

نفراً ثلاثة، فصوب إليهم لأخذ ما عليهم فلَّما وصل اليهم التفت إليه أحدهم وقال له مخاطباً: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[1] . فأخذه الوجد والهيام والبكاء والنحيب من قول الرحمن المُنزَّل على خير الأنام حتى سقط عن فرسه وعاد مُلقى وما فيه غير نفسه، فاتاه أحدهم وضرب بيده على صدره وقال له: استغفر الله، فاستغفر مما وقع من سالف أمره، فلما أفاق من سكره وشرابه وهدأت نفسه من تحريكه واضطرابه قال أحدهم: بعد أن أخرج تمرات من جيبه وأعطاها لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

حظوظها في طلب الرجولة والشجاعة ومراعاة الشيم ، والتي يتولد منها الخجل من الفعل الذي ترفضه الرجولة وشجاعة الفرسان الأشداء ، وكان له قدس سره ، معهم في كل موقف عبرة وموعظة وندامة . إذاً فقد أيقظهم من غفلتهم ، وأثار فيهم نوازع الرجولة والشجاعة ، ليوقظ مشاعرهم ، ويوقظ فيهم حال المراقبة في أعمالهم .

وبقى هكذا إلى أن بلغ والده الشيخ يونس قدس سره خبر خروجه مع العرب العصاة ، قطّاع الطريق . وفي الحقيقة كانوا يجهلون حقيقة خروجه معهم ، فأهمَّ الشيخ يونس قدس سره شأنُ ولده سعد الدين ، وعظم عنده الأمر ، فدخل خلوته ودعا الله تعالى مُخلصاً لهُ الدّين ، وبذل في الدعاء مجهوده بقوله : إما إصلاح ولدي سعد الدين ، وإما أخذه إليك بوقته . للزيادة يُنظر : (الطريقة السعدية في بلاد الشام . محمد غازي حُسين آغا) . ج/ 1 – ص/ 221 .

[1] – سورة الحديد / 16.

وأمين غيبه وقال: اسقيه يا رسول الله، فنفث عليها وناولها له، فأخذها الشيخ وحظي بما لديها، وقال له الرسول المعظم: خذها لك ولذريتك إلى يوم القيامة. فقبلها الشيخ وعظَّم، ورجع وقد عمر الله ظاهره وباطنه، وانجذب إلى مولاه وفاز بما أعطاه، فيا سعادة من والاه ويا شقاوة من حاربه وعاداه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، إِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾[1]. ولا بد له منه، وسيأتي لهذا مزيد كلام في الباب الثاني، وإلى هذا المقام الوهبي أشار والدي الشيخ عمر زين الدين في رسالته الْعمريّة في الرد عن السادة السّعدية حيث قال:

---

[1] – رواه ابن حبان في صحيحه (347)، والبيهقي في سننه (20980)، من حديث أبي هريرة. ورواه الإمام أحمد (26193) ، والطبراني في الأوسط (9352) . وابن أبي عاصم في السنة (414) . والبزار في مسنده (99) من حديث عائشة .

إن سعد الدين صباح الظلام قد حَباه الله عزاً واحترام
ولقد سقاه في حان الشهود شربة تحيي قلوب أهل الغرام
من يد أسد الإله الهاشمي ابن عم المصطفى بدر التمام
وإمام الأنبياء والمرسلين أحمد المختار للرُسل ختام
هو أصلٌ في طريقي يا أخي والنسب مشهور ما فيه كلام
لا يُماري فيه إلاَّ جاهل بطريق القوم من بين الأنام

وأما: سلسلتهم السّنديّة فأقول: مبتدياً بشيخ عصرنا الآن متَّع الله بحياته الأنام وحشرنا في زمرة أسلافه الكرام، هو الشيخ محمد سعد الدين[1] بن القطب الواضح في البين سيدي الشيخ حسين [2] بن

[1] – الشيخ محمد سعد الدين بن الشيخ حسين الذي خلف أخاه الشيخ أحمد في الجلوس على سجادة الإرشاد في الزاوية السعدية : وهو من رجال هذه السلسلة المباركة في سند إلباس الخرقة وأخذ العهد والتلقين ، وهو الذي جدَّد الزاوية السعدية ورفع سقفها . ويقول النجم الغزي في ترجمته : الشيخ محمد بن حسين ابن حسن ابن الشيخ الصالح المربي سعد الدين الجباوي شيخ الطائفة السعدية بدمشق الشافعي. توفي سنة 987/ 1579.

[2] – الشيخ حسين بن الشيخ حسن الكبير الذي خلف والده في الجلوس على سجادة الإرشاد في الزاوية السعدية العامرة في حي الميدان وهو من رجال هذه السلسلة المباركة في سند إلباس الخرقة وأخذ العهد والتلقين في قاعدة هذا

القطب الفرد الرباني سيدي الشيخ حسن الجناني [1] بن القطب الفرد الأوحد سيدي الشيخ محمد ابن القطب الفرد المعمِّر سيدي الشيخ أبو بكر ابن القطب الفرد الأكمل سيدي الشيخ علي الأكحل بن القطب الفرد في العالمين سيدي الشيخ محمد شمس الدين بن القطب الغوث الفرد الرباني سيدي ومحل مُعتقدي الشيخ سعد الدين أبو الفتوح الجباوي الجناني، وهو أخذ الطريق عن والده البحر المحيط الفرد الجامع الرباني سيدنا الشيخ يونس الشيباني

البيت، يقول البوريني : فلما توفي الشيخ حسن المذكور جلس على سجادته ولده الشيخ حسين المذكور فطالت مدته وحمدت سيرته . توفي ستة 926/ 1520 .

[1] – الشيخ حسن الكبير السعدي الجباوي الجناني بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الكبير بن الشيخ أبي بكر تقي الدين بن الشيخ على الأكحل الذي خلف والده في الجلوس على سجادة الإرشاد في جبا الشام ، وهو من رجال هذه السلسلة المباركة في سند إلباس الخرقة وأخذ العهد والتلقين . ولد في جبا سنة ١٣٩٨/ ٨٠١ وهو من كبار السادة الصوفية ومن أعيان مشايخ الطريقة السعدية، أقام في دمشق الشام، واعتقده الخاص والعام، وهو ركن هذا البيت المبارك في دمشق الشام ، وإليه تعود سلسلة الطريقة السعدية العلية، وفي أولاده مشيخة عموم الطريقة السعدية في دمشق الشام والأقطار الإسلامية كافة. توفي سنة 914/ 1508. ودفن برؤوس العمائر عند باب الله وقبره ظاهر يُزار .

نفعنا الله بهم وبأنفاسهم الزكية الطاهرة، في الدين والدنيا والآخرة، وإلى هذا أشار والدي في منظومته يقول شعراً:

هِم برجال صدقوا ما عاهدوا فوفاهم أجرهم رب الأنام
منهم الأقطاب في تصريفهم في حياة وممات يا كرام
كالولي العارف بالله حقيق صاحب الوقت وسلطان الأنام
والشيخ محي الدين عبد القادر وعقيل المنبجي الفحل الهمام
وابن قيس بحياة قد سُمي ثم معروف لهم بين الأنام
ثم تاج العارفين أبو الوفا وجنيد مع سَري وإبراهام
وكذا الشيباني شيخي يونس وابنه الشيخ سعد الدين تام

وأما الشيخ يونس الشيباني رضي الله عنه[1] فإنه أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ أبي سعيد الأندلسي، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ أبي البركات، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ أبي بكر النساج، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ أبي القاسم الجرجاني، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ أبي عثمان المغربي، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ أبي علي الكاتب، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ

[1] – وللشيخ يونس الحسني سند مباشر من حيث العلو عن الشيخ أبي بكر النسَّاخ . يُنظر التفصيل : الطريقة السعدية في بلاد الشام . الفصل الثاني . محمد غازي .

أبي علي الروذباري، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته خاله سَري السقطي، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته الشيخ معروف الكرخي، وهو أخذ الطريق عن شيخه وبركته سيدنا علي الرضا، وهوعن والده سيدنا موسىٰ الكاظم، وهوعن والده سيدنا جعفر الصادق، وهو عن والده سيدنا محمد الباقر، وهو عن والده سيدنا علي زين العابدين وهو عن والده سيدنا الحسين السبط الشهيد وهوعن والده ليث بني غالب، مظهر العجائب ومفرق الكتائب، أبي الحسنين علىٰ بن أبي طالب وهو عن ابن عمه رسول رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين، وصفوة الخلائق أجمعين، محمد بن عبد الله إمام المقربين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، صلاة دائمة باقية إلىٰ يوم الدين. وإلىٰ هذا أشار والدي في منظومته يقول شعراً:

أصلها مأخوذ عن خير البشر عن أمين الوحي عن رب الأنام
أطريقٌ في الملا قد سلكوا غير هذا من رأىٰ خاب المرام
فجميع الطرق عنه أخذت كل شيء لم يكن عنه ملام
لجميع الخلق أرسل أحمد ودعانا منه للدين القوام

خاتمة

في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1]. الآية. قال بن عباس رضى الله عنهما: لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام مسح ظهره فأخرج ذريته، فبدأ بالأنبياء، وبدأ منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال له: يا محمد قال: نعم يا رب، قال: من خلقك، فقال: أنت يارب، قال: فمن ربك قال: أنت يارب، قال: فاسجد لي إن كنت صادقاً، فخر ساجداً لله تعالى، ثم قال الله تعالى للأنبياء كذلك: ففعلوا كفعله، ثم أخرج ذرية آدم كأمثال الذَر، وكانوا في يده تبارك وتعالى يقلبهم كيف شاء، فقال تعالى: يا معشر بني آدم، قالوا: لبيك يا ربنا، قال: من خلقكم قالوا: أنت خلقتنا، قال: من ربكم، قالوا: أنت ربنا، قال: فاسجدوا لي إن كنتم صادقين، قال: فخروا لله ساجدين، إلاَّ الكفار والمنافقين، فإن أصلابهم صارت كأذناب الصياصي لا يطيقون السجود، ثم أخذ عليهم العهد بقوله: ألست بربكم، قالوا: بلى، وهنا كلام تركته اختصاراً.

---

[1] – سورة الأعراف/ 172 .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سُئل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ اللهَ عز وجل خلق آدمَ، ثم مسح ظهرَبيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقتُ هؤلاءللجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهرَه فاستخرج منه ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجلٌ: ففيمَ العملُ يارسول الله ؟. فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ اللهَ عز وجل إذا خلق العبدَ للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنةَ، وإذا خُلق العبدُ للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموتُ على عملٍ من أعمالِ أهلِ النارِ فيدخلُه به النارَ[1].

وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة أقروا طوعاً وقالوا بلى،وأهل الشقاوة قالوا تعسفاً وكُرهاً، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا﴾[2].

واختلفوا في موضع الميثاق، قيل: ببطن نعمان وادٍ إلى جنب عرفه، وقيل: لابد هنا من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم عليه

---

[1] – صحيح أبي داود: 4703 .

[2] – سورة آل عمران/ 83 .

السلام، وقيل: بين مكة والطائف، وقيل: في السماء بعد خروج آدم من الجنة.

ورُوي أنه تعالىٰ أخرجهم جميعاً وصورهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها والسناً ينطقون بها، ثم كلَّمهم قُبُلا أي عياناً وقال: ألست بربكم.

ورُوي أن الله تعالىٰ قال لهم جميعاً: اعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا رب غيري فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأنتقم ممَّن أشرك بي ولم يؤمن بي، وأنا مُرسلٌ إليكم رُسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومُنزِّل عليكم كتاباً. قال: فتكلموا جميعاً، وقالوا: شهدنا أنَّك ربنا وإلهنا لا إله لنا غيرك، فاخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب أجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر آدم عليه السلام إليهم فرأىٰ منهم الغنىٰ والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب لو ساويت بينهم، قال: إني أحب أن أُشكر، فلما قرَّرهم بتوحيده وأشهدهم بعضهم علىٰ بعض، أعادهم إلىٰ صلبه، فلا تقوم الساعة حتىٰ يولد كل من أخذ ميثاقه، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1]. أي من ظهور بني آدم ذرياتهم، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر ذرياتهم بالجمع بكسر التاء، وقرأ

[1] – سورة الأعراف/ 127 .

الآخرون ذريتهم على التوحيد ونصب التاء، فإن قيل ما معنى قوله: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم. وإنما أخرجهم من ظهر آدم فيقال: إن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتولد الأبناء من الآباء بالترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهرآدم لمَّا علم أنهم كلهم بنوه وأُخرجوا من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربِّكم قالوا بلى. إنِّي أُشهد بعضهم على بعض، شهدنا أن يقولوا: قرئ بالتاء وبالياء، قيل خبر من الله تعالى عن نفسه، وقيل: من قول الملائكة وفيه حذف تقديره لمَّا قالت الذرية: بلى ، قال الله للملائكة: اشهدوا فشهدوا على إقرار بني آدم، وقال بعضهم هو خبر عن إقرار بني آدم حين أشهد الله بعضهم على بعض، فقالوا: بلى شهدنا قوله إن يقولوا، يعني وأشهدهم على أنفسهم إن يقولوا أي لئلَّا يقولوا كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام خاطبكم ألست بربكم لئلَّا يقولوا يوم القيامة إنَّا كنا عن هذا غافلين، أي عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل كيف تلزم الحجة واحداً لا يذكر ذلك الميثاق، وقيل: قد أوضح ذلكَ الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة، ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط

الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم.

اعلم أن الله تبارك وتعالى أخذ العهد والميثاق في عالم الذر على عباده، وأشهدهم على انفسهم ثمَّ أنه تبارك وتعالى لما ابرزنا إلى عالم الوجود أرسل إلينا الأنبياء والمرسلين يدعونا إلى الإجابة بمقتضى ذلك العهد، فمن أجاب الأنبياء وصدَّقهم حصل له الأمن والإيمان وظفر بمقتضى العهد السابق، ومن كذبهم وأنكر ذلك خاب وخسر في الدنيا والآخرة، ثم أنه لمَّا انقطع الوحي وماتت الأنبياء جعل الله في أمة علماء يذَّكرونهم عهود أنبيائهم ويرشدهم إليها، ومن ثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل. وقال بن الفارض في تائيَّته المشهورة:

المِ نا منهم نبي ومن دعا إلى الحق منَّا قام بالرُّسُليَّة
وعارفنا في وقتنا الأحمدي من أولي العَزمِ منهم أخذٌ بالعزيمة

فالشيخ في قومه كالنَّبي في أمته لأن الداعي إلى الله هاد ومهتد. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[1]. وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضى الله عنه: ﴿فو الله لئن يهدي الله بك

[1] – سورة فصلت / 33 .

رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم ﴾[1]. فإن قيل لأي شيء أتيت في خاتمة الباب بأخذ العهد قلت: لأن حفظ العهد من أهم الأمور وأوكدها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[3]،

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[4]،

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[5]. فالناس على قسمين. سالك ولابد له من مرشد كامل داع إلى الله على بصيرة يرشده حساً. ومجذوب ولابد له من مُنح من فضل الله تعالى هاد معنوي يجذبه من الخلق ويحضره مع الحق، وهذا نادر لا يظفر به إلا من وفقه الله لذلك، كالعاثر على الكنز من الناس، ومن طلب الوصول من غير هذين البابين فقد طلب محالاً.

---

[1] – أخرجه البخاري ومسلم .

[2] – سورة الفتح / 10.

[3] – سورة التوبة/ 119 .

[4] – سورة المائدة/ 35 .

[5] – سورة لقمان / 15.

فإن قلت: المرشد الحسي من منح الله وفضله فكان المرشد حقيقة والهادي هو الله وحده، قلت: إن هذا لاشك فيه قل كل من عند الله، غير أن هنا دقيقة وهي أن المرشد الحسي للمريد ممَّا ظهر كسبه وبطن وهبه، والمرشد المعنوي ممَّا ظهر وهبه وبطن كسبه، فإن كسبه لهذا المقام الأفضل هو قابليته لفيضان المدد الإلهي عليه، وجريانه في فناء سره حسبما تعلق به العلم القديم الأزلي، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[2].

وممَّن حصل له الارشاد المعنوي ابراهيم بن أدهم، حيث ناداه مناد من قربوس سرجه[3]، ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، حسبما هو مشهور في قصته، والحاصل أنه لابد للمريد من شيخ، فمن لا شيخ له فالشيطان شيخه والله تعالى أعلم. والمراد من المرشد الموصل إلى

---

[1] – سورة الأنعام / 124.

[2] – سورة غافر / 15.

[3] – قربوس السرج = حِنوُ السَّرج/ تعنى القسم المُقوس المرتفع من أمامه ومن خلفه، ويكون القاعد بينهما على السرج .

الله كما مرَّ معنا آنفاً في الآيات، وهو قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]

قال صلَّى الله عليه وسلّم: ﴿ اطلبوا العلم ولو بالصين﴾[2]، يعني اطلبوا أهل العلم ولو بالصين، فيكون مجاز إضمار واطلبوا العلم من أهله ولو بالصين، بدليل الحديث الآخر: إنَّما العلم بالتعلم. وقال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[3]، ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم تلقى الوحي من جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿علمه شديد القوى﴾[5]، وهذا الكليم قال: ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾. إلى أن قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ

---

[1] سورة النحل / 43.

[2] – حكم جمهور أهل العلم على هذا الحديث بأنه ضعيف من جميع طرقه، وقيل موضوع، وقيل صح معناه.

[3] – سورة آل عمران / 31.

[4]– سورة الشعراء/ 193 – 194 – 195 .

[5] – سورة النجم / 5 .

رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا، قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾[1]. فإذا كانت هذه أحوال أكابر الرسل والأنبياء فغيرهم من باب أولى، فيكون حينئذ لابد من مرشدٍ حي آدمي أو ملكي أو معنوي، كالقرآن ونور الإيمان، ومنحٍ من فضل الله بحيث لا يكون ثم واسطة أبداً، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ أدبني ربي فأحسن تأديبي ﴾[2]. وقال الشيخ علوان في قصيدة الميمية مرشداً إلى هذا المعني شعراً.

أطلب على مرشدٍ قد طاب عنصره وكُن له خادماً من جُملة الخَدمِ

صَفّي الإرادة بالإخلاص مُلتزماً لِلذكر دأباً تَهجد في دُجى الظُلمِ

[1] – سورة الكهف/ 65 – 66 .

[2] – وضَّح ذلك القسطلاني في المواهب اللدنية . وشرحه للزرقاني عند الكلام على فصاحة النَّبي صلى الله عليه وسلم . أحاديث القصاص 78. وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة 1020. والفتني في" تذكرة الموضوعات 87 . ولكن معناه صحيح .

الباب الثاني

في ذكر كرامات أولياء الله الكرام وذكر طرف من كرامات مشايخنا أصحاب المقام

قال تعالى: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1]. والولي له معنيان أحدهما فعيل بمعنى مفعول فهو من يتولى الله أموره، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[2]. فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى رعايته، والثاني فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى الله عبادته وطاعته، فعبادته تجرى على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوجهين واجب حتى يكون الولي ولياً بحسب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء.

ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النَّبي أن يكون معصوماً، واختلفوا في أن الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم

---

[1] – سورة يونس/ 62.

[2] – سورة الأعراف/ 196.

لا، فقال قوم: لا يجوز ذلك، وقال: أن الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير، وإذا ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكراً وهو مستشعر الخوف وإنَّما يخاف سقوطه عَمَّا هو فيه، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله، وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية وفاء المآل، وقد ورد في هذا الباب حكايات كثيرة ولو اشتغلنا بذكرها لفات المقصود من الاختصار، ومنهم من قال يجوز أن يعلم الولي أنه ولي وليس من تحقيق الولاية في الحال الوفاء في المآل، ثم إن كان ذلك من شرطه أيضاً، فيجوز أن يكون هذا الولي خُص بكرامة هي تعريف الحق إياه أنه مأمون العاقبة، إذ القول بجواز كرامة الأولياء واجب، وهو إن فارقه خوف العاقبة فيما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال في الحال أشد وأتم، فإن اليسير من التعظيم والهيبة أَحَدُّ للقلوب من كثير من الخوف وكمال عشرة في الجنة من أصحابه، فالعَشرة لا محالة صدقوا الرسل وعرفوا إسلامهم وسلامة عاقبتهم ثم لم يقدح ذلك في حالهم، ولأن من شرط صحة المعرفة بالنُّبوة الوقوف على حد المعجزة، ويدخل في جملته العلم بحقيقة الكرامات، فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكن أن لا يميز بينها وبين غيرها، فإذا رأى شيئاً من ذلك علم في الحال أنه

على الحق، ثم يجوز أنه يعرف أن يبقى في المآل على هذه الحالة، ويكون هذا التعريف كرامة له، والقول في كرامات الأولياء صحيح إن شاء الله تعالى، وإلى هذا القول جنح أبو علي الدقاق.

وقيل أن ابراهيم بن أدهم قال لرجل: تحب أن تكون ولياً لله تعالى، قال: نعم، فقال: لا ترغب في شيء من الدنيا، وفرِّغ نفسك لله، وأقبل عليه بوجهك ليقبل عليك ويواليك.

قال يحيى في صفة الأولياء:هم عباد تشربوا بالأُنس بعد المكابدة، وأعتقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام أهل الولاية.

وقال أبو يزيد: أولياء الله هم عرائس الله، ولا يرى العرائس المحرمون، وهم مخدرون عنده في مقام الأُنس، لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة.

ولا شك أن ظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه أنه أمر موهومٌ وحدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصلٍ من الأصول، فواجب وصفه سبحانه وتعالى بالقدرة على إيجاده، فإذا وجب كونه مقدوراً لله تعالى، فلا شيء يمنع جواز حصوله، وظهور الكرامات علامة صدقِ من ظهر عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثله عليه لا يجوز.

واعلم أن الرجال على قسمين، رجال خلق يعني مشهورين للخلق، هم يختصون بالتصرُّف في الخلق، ورجال حق مستورين عن علم الخلق مشهورين بالولاية عند الحق.

فالقسم الأول: يُمَدُون بالفراسة الإيمانية والكشوفات الخلقية، فيقول أحدهم: وقع كذا في الملك، أو يقع كذا من الحوادث الغيبية والنوازل الملكوتية إلى عالم الملكية.

والقسم الثاني: قد لا يصدر منهم هذا، بل يختصون بالكشف عن الذات وصفاتها عن قلوبهم، ولا يكشفون عن زيف حضرات الإلهية، وربما تجد أحدهم لا يطلع على حادثة ملكية ولا نازلة ملكوتية من خوارق العادات والكرامات الخلقية، لأن الخوارق يعثر عليها بعض السالكين في أثناء الطريق تقوية لنور إيمانهم، وزيادة في سناء إيقانهم، وأمالواصلون فلِ ثبات أقدامهم ورسوخ علمهم لا يحتاجون إلى ظهور خارق، ولا الاستئناس ببارق، فإن رجال الحق مثالهم مثال الجبال الراسخين لرسوخهم في علم اليقين وعينه وحقه، فلا يحتاجون إلى خارق عادة تثبت إيمانهم أو تقوي إيقانهم، فإن الكرامات قد يجريها الكريم على يدِ المكرمين بالتقوى تثبيتاً لقلوبهم عند استمدادهم من المقام الإبراهيمي الخليلي، حيث

قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[1]. وتعاطيهم من المشهد العيسوي حظهم، حيث قال: ﴿ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾[2].

وأما عند انتهائهم من رشف البحر المحمدي والاستسقاء من مرام الارتقاء في المقام الأحمدي، فلا يحتاجون إلى سؤال مثل هذا بلسان القال ولا بلسان الحال، بل يتواضعون في التنزل إلى دون طبقات من دونهم، كما قال عليه السلام: ﴿ نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِن إِبْرَاهِيمَ ﴾[3]. يعنى لو فرض ذلك شكا إلى آخره، والدليل هنا طويل فإن أردت استيفاء ما فيه فعليك بمطالعة كتب السادة الصوفيَّة، بلَّغنا الله وأحبابنا القصد بالإرادة.

قال الشيخ علوان [4] في كتابه:منهاج المُتقي. نفع الله به:

---

[1] – سورة البقرة/ 260.

[2] – سورة المائدة/ 114.

[3] – رواه البخاري ومسلم، وابن ماجة .

[4] – الإمام العلامة الشيخ علوان الحموي هو علي بن عطية بن الحسن بن محمد الحداد الهيتي الحسيني الشافعي الصوفي الإمام العلامة الفهامة شيخ الفقهاء والأصوليين وأستاذ الأولياء العارفين، علم من أعلام القرن العاشر الهجري ولد الشيخ علوان في مدينة حماة في سورية في محلة باب الجسر تحت ظل سلطة

فليس ولي الله في كل فرقة سوىٰ من لداريه وللنفس طلقا
وليس يوالي الله خوفاً ولا رجا ولا حزن إذا طلق المتعلقا
ومن كان مشغولاً بمولاه هارباً إليه له هم به ذاك حققا
ولاشك أن الأولياء ثلاثة به كلهم من كلهم قد تعلقا
فمنهم عروس الله في خدر أنسه عن الخلق في الدارين أخفاه مشفقا
وآخر في الدنيا أحبَّ خفاءهُ ليؤتيه في الأخرىٰ لواءً محققا
وآخر مشهور بداريه صانه فلم يخف من داريه سبباً ولا شقا
وهذا غدا ريحانة الله عندهم فمن شمه يوقيه روحاً ومرفقا
وكم من ولي ليس يدرىٰ بأنه ولي ولكن بالكرامات انطقا
وكم من ولي وهو يدري بأنه ولي بإعلامٍ من الله سبَّقا
وكم من ولي آثر الله سترهُ فمن دونه باب الكرامات أُغلقا

فالواجب علىٰ كل مسلم أن يُحسِّن ظنَّه بالفقراء الكرام، ويتخذ عندهم الأيادي في كل موطنٍ ومقام.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم، عن جبريل عن ربه عزَّ وجل أنه قال: ﴿إن الله تعالىٰ

المماليك (873 هـ الموافق (1468م) وامتدت حياته حتىٰ عام (936هـ الموافق 1530م إبان الحكم العثماني وتحت حكم السلطان سليم الأول .

يقول: من أهان لي وليا فقد بارزني بالعداوة﴾[1]، وفي لفظ آخر: ﴿ فقد بارزني بالمحاربة ﴾.

وعن انس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ إن من عباد الله من لو أقسم علىٰ الله لأَبَرَّهُ ﴾[2].

قال يحيىٰ بن معاذ رضي الله عنه: الولي ريحان الله في الأرض يشمه الصالحون فتصل رائحته إلىٰ قلوبهم فيشتاقون به إلىٰ مولاهم ويزدادون عبادة علىٰ تفاوت أخلاقهم.

قال ابن عطا الله في الحِكم: سبحان من لم يجعل الدليل علىٰ أوليائه إلاَّ من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلاَّ مَن أراد أن يُوصله إليه.

وقال أبو العباس المرسي: معرفة الله أقرب من معرفة الولي، لأن الله ظاهر بكماله وجماله، وحتىٰ ومتىٰ نعرف الولي أنه ولي وهو يأكل كما نأكل ويشرب كما نشرب، فحصل من هذا أن من عرَّفه الله ولياً من أوليائه بمُفرده أو كلاهم فقد غنىٰ به وكشف عنه غطاءه

---

[1] – أخرجه البغوي في تفسير سورة الشورىٰ ، ومثله رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة .

[2] – رواه البخاري ومسلم.

وأجزل لديه بره وعطاءه، ومن أراد الله إبعاده وشقاه لم يُعرِّفه بأحد من أحبابه وأولياءه، فمن كان عليهم من المنكرين ولهم من المبغضين المؤذين، دخل في سلك المحاربين الأشقياء المحرومين، كما قال في لطائف المنن: الأولياء عرائس الله، ولا يرىٰ عرائس الله المحرومون.

وقال الخراز: إذا أراد الله تعالىٰ أن يوالي عبداً من عباده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلىٰ مجالس الأنس، ثم أجلسه علىٰ كرسي التوحيدثم رفع عنه الحُجب وأدخله دار الفردانية، ويكشف له الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره علىٰ الجلال والعظمة بقي بلا هو، فحينئذ صار العبد زمناً فانياً، فوقع في حفظه سبحانه وتعالىٰ وبرئ من دعاوي نفسه.

خاتمة

في ذكر نبذة يسيرة من كرامات شيخنا الكبير الشيخ سعد الدين الجَباوي الجناني نفع الله به الأنام وأسكنّا معه في دار السلام

قال صاحب عرائس المعاني رحمه الله تعالىٰ [1]: روي عن ابن مولانا الشيخ الكبير رحمه الله تعالىٰ [2] أنه قال: لقد مَنح الله تعالىٰ والدي بكرامات لا تُعد ولا تُحصىٰ، وأطاع له جنداً كثيراً من الجن، فظهر بعض آثار علىٰ أقدامه، فسأله ولده الشيخ شمس الدين محمد الأنور عن ذلك، فمنعه من الجواب فأقسم عليه فأراه الجن وهم عاكفون عليه يتبركون به وبأقدامه.

ومنها ما رُوي أن الخليفة الكائن في زمن مولانا الشيخ الكبير كان له ولد مغرم بحبه، فحصل له عارض أرضي، فسأل عمن يُلاطفه فلم يظفر بأحد، فقيل له: إن بأرض الشام رجل يقال له

---

[1] –عرائس المعاني في كرامات الشيخ سعد الدين الجَباوي والسادة السعدية. الشيخ أحمد بن حُسين البريدي .

[2] – المقصود هو نجله الشيخ شمس الدين محمد الأنور . يُنظر ترجمته ص/ 16 .

الشيخ سعد الدين، له مدد مديد في ذلك، فتجهَّز السلطان بولده وأتى به مقيداً إلى الشيخ، فلما كان قريباً من الشيخ سأل بعض الناس عن الشيخ فقيل له: إن الشيخ قد انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى، فتأسف السلطان وندم على قدومه، فاستشار بعض مباشريه في الرجوع إلى بلده، فقال له: أنت تغربت وتعنيت حتى وصلت إلى هنا وترجع بولدك من غير أن تلتمس بركة الشيخ، فالرأي عليك أن تدخل إلى ضريح الشيخ لعل بركته أن تحُلَّ عليه فإن بركتهم عامة وبهم يغاث أصحاب المحن، والدعاء عند قبورهم مستجاب، فاستعقل السلطان رأيه ولازال سائراً حتى وصل إلى الضريح، فأدخل السلطان ابنه وأغلق عليه باب الضريح والقيد والغل في يديه، فما كان إلاَّ ساعة ثم فتحوا على ابن الملك الباب فوجدوا القيد والغل ملقيان ولم يروا ابن الملك، فتعجبوا من ذلك غاية العجب، وتألم السلطان لفقد ولده، وتوجه راجعاً إلى تخته من بغداد، فلما صار قريباً من التخت خرجت إليه عساكره وأهل مملكته وفي أوائلهم ابن الملك راكباً على خيله وما به شيء، فلما رآه والده وقع مغمى عليه، فلما أفاق سأل ابنه كيف كان حالك حتى جئت إلى بلدنا، فقال الولد: ما هو إلاَّ خير، وذلك أنكم لمَّا

وضعتموني عند ضريح الشيخ وأغلقتم عليَّ الباب، فرأيت وكأنه قد خرج عليَّ من جهة القبر سبع وصرخ بي وقال: قُم، فقمت وقد تساقط عني القيد والغل واحتملني على ظهره، فما كان إلَّا ساعة وإذا أنا ملقىً على فراشي وقد زال عني ماكنت فيه، فعندها أخذ السلطان مالاً جزيلاً وقصد زيارة الشيخ والعمارة عليه، فلما وصل إلى الضريح وهمَّ بالعمارة، رأى الشيخ في منامه وهو يقول له: لا تبني عليَّ شيئاً ولا تهدم بنائي، وتصدَّق بمالك على أربابه لا حاجة لي به، ففرَّق السلطان المال هناك على الفقراء من ذوي الحاجة ورجع إلى تخته.

ومن كراماته قدس الله روحه: أن رجلاً من الجند نزل ليلة ضريح الشيخ وكان معه أسباب مثمنه، فدخل إلى الزاوية ونام بها، فبينما هو نائم إذ سمع صرخة عظيمة قريباً منه، فاستيقظ من منامه وإذا بلصٍ قد دخل الزاوية وأخذ الأمتعة وأراد الخروج، فتراءى له الشيخ من الضريح وصرخ به: ارمِ أمتعة ضيفنا ولا تؤذيه، فصرخ اللِّص ممَّا رأى ووقف كالخشبة، فلَّما رآه الجندي ذلك نادى خادم المكان، فأتاه مسرعاً، فلَّما رآه الخادم كبسه كما يكبس الفقير، فلَّما انحل ما به قال له: ما بالك ؟. قال: دخلت الساعة إلى هاهنا وأخذت الأمتعة وأردت الخروج، فصرخ علي الشيخ من الضريح

وصرت إلى ما ترى، وها أنا تائب إلى الله عزَّ وجل، ولم أبرح من خدمة الشيخ حتى ألقى ربي. قال الراوي: فعندها أقام ذلك الجندي بحضرة الشيخ وأخذ في العبادة، وباع ما كان معه من الأسباب ولم يزل كذلك إلى أن لقى الله عزَّ وجل، وكذلك فعل اللَّص رحمهما الله. وإلى هذا المعنى أشار والدي زين الدين عمر السعدي في منظومته الميميَّة بقوله:

هو قُطب الوقت غوث زمانه سرُّه الظاهر أمضى من حسام
ذو كرامات كشمس إذ بدت دون غيم ليس فيه من قتام
حامي الجولان خفر أهلها في حياة وممات يا كرام
البها والنور والسِّر المبين من ضريح في جَبا من أرض شام

ومما يُحكى عنه أيضاً قدس الله روحه: أن الشيخ كان له غنيمات يرعاها، فبينما هو يسقيها من بئرٍ إذ سقط الدلو من يده في البئر، وكان قد أخذ الدَّلو من رجل وهو ينتظر، فلَّما رأى سقوط الدَّلو في البئر غضب صاحبه وقال: ما في الفقراء خير ولا في المشايخ، فلَّما سمع الشيخ ذلك أشار بيده إلى البئر، وإذا بالماء قد علا إلى فم البئر

حتىٰ أخذ الدلو ودفعه إلىٰ صاحبه، فقيل له في ذلك فقال الشيخ: ليس ذلك مني وإنَّما هو من الله غيرة علىٰ أوليائه وفقرائه.

ومنها أنه رضى الله عنه ٱُمتحن في وقت بأكل منسف كبير لا يقدر علىٰ أكله إلا الجماعة الكثيرون، وكان قد أقسم عليه في ذلك، فأخذ الشيخ في الأكل حتىٰ ما ترك فيه شيئاً، واستمر قاعداً علىٰ وضوءٍ واحد من غير قيامٍ.

أقول وإلىٰ هذا المقام أشار ابن حبيب الصفدي في تائيته بقول:

قد يأكل الوجد أحياناً بلا شبعٍ من غير روث كقطن في حولاتِ
ويشبع المروء أطواراً بلا أكل كالذكر حقاً وتسبيح وآياتِ

ومنها أن رجلاً حصل له مرض مزمن، حتىٰ عجزت الأطباء والحكماء عنه، فقال لأهله: إنِّي أريد منكم شيئاً وهو أن تأخذوني وتطرحوني علىٰ باب الزاوية، قال: ففعلوا ذلك، فمرّ الشيخ به وكان من عادته أنه إذا مشي يضرب ببصره إلىٰ موضع قدميه، فلَّما مرَّ بالمريض كره أن يتخطىٰ عليه، فقال له: ما بالك مُلقىٰ هنا، فقال: من مرضٍ أصابني، وقد جئت أسألك أن تسال لي الشفاء، فقال له: إصبر إلىٰ وقت مناجات الأحباب أدعو الله لك، فقال له المريض: لا بل ادعُ لي في هذه الساعة، قال فرفع الشيخ رأسه إلىٰ السماء وفتح الله له باب

الإجابة، وكان من عادته ذلك، وسأل الله الشفاء لذلك المريض فعوفي من مرضه في الوقت والساعة كأنه لم يكن به شيء.

ومنها أن امرأة أتت إلى الشيخ رضي الله عنه فقالت له : يا سيدي إن ولدي قد خُطف ولم أعلم ما جرى عليه، فقال لها الشيخ: لقد سمعت البارحة هاتفاً يقول لصاحبه أخذ فلان من الجند صبياً من الإنس، إذهبي إلى بيتك فإنه سيأتي ابنك إن شاء الله تعالى، قال: فانطلقت إلى بيتها، فلمَّا كان وقت العشاء الآخرة وإذا بالباب يُطرق عليها، فخرجت فرأت جندياً كبيراً طويلاً قد أتى بابنها، وقال لها خذيه فقد قُتل من أجله طائفة كبيرة، ولولا الشيخ لما جيء به إليك، قال: فأخذت المرأة ولدها وكان صبياً جلداً فأخبرها بما جرى من كرامة الشيخ،وقال إن الشيخ لمَّا أمر بإحضاري فامتنع الذى أنا عنده من إعطائي، فأمر الشيخ بالمغازات فيه وفي قومه حتى هلكوا وأخذواني من بينهم [1].

---

[1] – ومن كراماته قدس سره التي وردت في بهجته : (... حُكي عن السيد حُسين أخبرنا السيِّد الحسيب النسيب الشيخ حبيب العجمي أن الشيخ سعد الدين الجَباوي الجَناني رضي الله عنه ونوَّر ضريحه مرَّ في سياحته على بلاد العجم ، فدخل إلى شيراز ، فاستحسنها ورآها عدنيَّة رطبة هوائيَّة فضيَّة ، غير أن ليس فيها

ماء قريب ، فسأل أهلها عن ذلك فقالوا له : يا شيخ فيها ماء كثير إلاَّ أنه محجوب ، فقال قدس الله سره : وأي شيىء يحجبه ومانعه من دخول البلد ؟ . فقالوا له : مرصود في باب من قديم الزمان ، وعجزت عنه الملوك الأوائل والأبطال والجنود والأكابر والأصاغر ، فقال لهم قدس الله سره : لا بأس أروني هذا المكان ، فقالوا له : يا سيدنا إن أمره إلى الشاه ملك البلاد ، فقال الشيخ سعد الدين الجَباوي رضي الله عنه : خذوني إلى الملك الشاه ، فدلوه عليه ، فلمَّا دخل إليه الشيخ رضي الله عنه وعرف أنه من سادات القوم ، رحَّب به وبقدومه الملك الشاه وقرَّبه إلى مجلسه ونادمه وآنسه في الكلام بعد أن قدَّم له الطعام ، ثم أن الشيخ قدس الله سره قدَّم للملك الشاه رمَّانات من بساتين بلاد الشام دون أن يغادر مجلسه ، وقال له : هذه هدية لكم من ثمار بلادنا ، فتعجَّب الملك الشاه وأخذها منه بقبول ودهشة ، ثم إن الشيخ سعد الدين رضي الله عنه تَذاكر مع الملك الشاه في أمور البلاد ، وقال له : إن بلادكم فضيَّة وهويَّة وعديَّة غير أن مآؤها قليل وصعب الوصول إليه ، فقال الشاه : ياشيخ من فضل الله الذي خلق السماء المبنيَّة والأرض المدحيَّة والجبال المرسيَّة لها ماء كثير لكنَّه بعيد ومرصود في باب مغلاق قديم ، لا هو من حجر ولا من حديد يُعرف ولا من نحاس ولا من رصاص يوصف ، لا يمكننا كسره ولا إذابته ، وقد عجز عنه آباؤنا وأجدادنا ، فقال له الشيخ قدس الله سره : لا بأس بأن تُريني إياه ، وكان عند الملك الشاه وزير صالح وجماعة من أعيان البلد ، فقالوا للملك الشاه : يا حبذا لو تُطلع ضيفنا الجليل على المكان ، فاستجاب الملك الشاه لطلبهم ،

ومِمَّا يُحكىٰ عن شيخ عصرنا الآن المُسمىٰ بالشيخ سعد الدين [1] نقلاً عن الإمام العالِم العلامة الشيخ أحمد الأيدوني مباشر وظيفة الإمامة في الجامع الأموي بدمشق الشام، كان يومئذ وهو أنه حين أن سلَّمت عليه سألني عن منزلي، وكان حين ذلك قد توفىٰ شيخنا الشيخ أحمد [2] رحمه الله تعالىٰ في سنة ثلاث وستين وتسعمائة، خرجنا من بلدتنا أعنىٰ حلب الشهباء إلىٰ التعزية في أواخر السنة المذكورة، فقال لي الشيخ أحمد الأيدوني: أين نزلتم فذكرنا له أننا نزلنا عند محبكم الشيخ سعد الدين، فقال لي عند ذلك:ألا أُخبركم عن

فتوجهوا إلىٰ جهة الباب ومغلاق منفذ الماء ، وعند وصولهم نظر الشيخ رضي الله عنه إلىٰ الباب المغلاق والماء ينبع خلفه ويتلاطم من كثرته ، فتوضأ وصلَّىٰ ركعتين ورفع يديه إلىٰ السماء ودعا ربَّه بدعوات لم تُحجب عن إجابة الحق سبحانه وتعالىٰ ، وصلَّىٰ علىٰ النَّبي وآله وتوسَّل وتعلَّق بمغلاق الباب وقال منادياً : يا قوي يا متين ، وإذا بمغلاق الباب قد ارتفع عن الأرض نصف ذراع ، وكان ارتفاع الباب عشرة أذرع ...) . المخطوط مخروم آخره .

[1] – المقصود هو الشيخ محمد سعد الدين بن الشيخ حسين بن الشيخ حسن الجباوي الميداني ، وهو من رجال هذه السلسلة المُباركة في قاعدة هذا البيت بحي الميدان . توفي 987 هـ .

[2] – ستأتي ترجمته لاحقاً .

الشيخ سعد الدين بكرامة عجيبة، وهي أنه لما تولى المشيخة بعد أخيه، سار بنحو ألف وخمسين من المقادسة وكنت أنا من جملتهم، وكنت أنزل قريباً من خيمة الشيخ، وكان بيني وبينه شيء من أجل بستان أو جنينه، فبينما أنا جالس في خيمتي ومعي جماعة من أصحابي إذ أقبل علينا جماعة من العرب ومعهم بنت سباعية العمر سطيحة ليس بها حركة، فتوهموا أهلها أني أنا الشيخ فدخلوا إلى خيمتي ووضعوا السطيحة أمامي، وهي لا ترفع يداً ولا رجلاً وأخبروني أهلها أن لها مدة في هذا الحال، فلما رأيت الأمر كذلك قلت لهم: بالله عليكم إذا قفلتم راجعين من عند الشيخ مروا عليَّ بسطيحتكم هذه حتى أرى ما يصنع الشيخ بها، ولست أنا الشيخ الذي تزعمونه، ولكن ها كم خيمته، قال: فأخذوها وانطلقوا بها إلى الشيخ، فما كان إلاَّ ساعة وإذا بهم راجعين يتعادون والبنت تعدوا في أوائلهم، فلَّما رأيت ذلك فما أمكنني إلا البكاء، ثم إنِّي كشفت عمامتي ووضعت الشد في رقبتي وانطلقت من خيمتي إلى خيمة الشيخ، فلما رآني قام إليَّ واعتنقني وقبَّل رأسي وأجلسني عنده، ودعا بعمامتي فألبسنيها وأطعني شيئاً من الحلوى.

قال المصنِّف: وفي تلك المَّرة بينما نحن جلوس عند الشيخ وعنده مُنشد يُنشد لنا هذه القصيدة التي مطلعها: أقسم بالطاء قبل هاء حتىٰ وصل إلىٰ قوله: (إنِّي علىٰ حبكم مقيم)، فبكىٰ الشيخ وبكينا لبكائه، فبينما نحن علىٰ تلك الحالة وإذا بجماعة جاءوا بامرأة معصبة علىٰ جمل، فأتوا بالجمل وأناخوه علىٰ باب الزاوية، ثم اخبروا الشيخ بأمرها وعارضها، فقام الشيخ وقمنا معه حتىٰ وقف أمامها، فأمر بحلِّها ثم ضربها بيده علىٰ ظهرها وقال لها: قومي، ثم ضربها الثانية وقال لها قومي، ثم ضربها الثالثة فوالله أنها قامت ترعد مثل السعفة، ثم ضربها علىٰ رجليها وأمرها بالمشي فمشت تعدو إلىٰ أن دخلت إلىٰ بيت الشيخ ثم خرجت تمشي.

ومنها إنه لمَّا تولىٰ الخلافة أقام في طريق القدس أربعة وعشرين مُقعداً معضوباً ومعضوبة، أخبر بذلك جم غفير ممَّن شاهد ذلك عياناً، وهذه الحالات قد شاعت وذاعت وملأت الأسماع عنهم وعن أولادهم، بل عن خلفائهم الذين أقاموهم مقام أنفسهم وأذنوا لهم في ذلك.

وقال المصنف أيضاً رحمه الله تعالىٰ: ولقد رأيت من شيخنا العارف بالله تعالىٰ أعنىٰ الشيخ أحمد [1] أخا شيخنا الولي العارف

[1] –الشيخ أحمد الجَباوي الميداني . يقول النجم الغزي في تاريخه: الشيخ الصالح القدوة ولي الله تعالىٰ العارف به الشيخ أحمد بن الشيخ سعد الدين الجبائي الدمشقي القبيباتي شيخ بني سعد الدين بدمشق، كان له أوقات يقيم فيها الذكر والسماع ، ويكتب النشر والحجب علىٰ طريقة أهله المعروفة، وكان له الكشف التام والكرامات الكثيرة، وكان له سخاء وقرىٰ للواردين علىٰ عادتهم . سمعت الأستاذ العارف بالله تعالىٰ الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر العاتكي المعروف "باليتيم" كان من فقراء المذكور ومن خلفاء أخيه الشيخ سعد الدين يقول: من أراد أن يطلع علىٰ كرامات بني سعد الدين وخوارقهم فإن لهم كرامتين ظاهرتين : السفرة والحلقة، أما السفرة فإنها موضوعة لكل وارد عليهم من أمير أو فقير، وأما حلقتهم فإنها سالمة من المنكرات، لا يحضر فيها أمرد ولا يثبت فيها متصنّع ولا لاعب، وقد رأيت لبعض الفضلاء أبياتاً في مدح الشيخ أحمد مؤرخة في شهر رجب سنة 961هـ وهي:

الموجود الآن سيدي الشيخ سعد الدين المذكور كرامة، ولكن تعد بكرامات (يقصد أنها أكبر الكرامات)، وهي أننا خرجنا معه إلى زيارة قبر جده الكبير المدفون بأرض جَبا، فاتصل السير بنا إلى أن وصلنا إلى بحيرة طبرية، وكنت إذ ذاك بصحية والدي الشيخ عمر

يا سائق الأظعان في البيداء والصبحُ شـقَّ غُلالـة الظَّلمـاء
ناشدتك الرحمن يا حادي إذا وافيت وادي جلَّـقَ الفيـحاء
وبدت قبابٌ كالعرائس تنجلي عجباً فعُج بالقبة البيضاء
واقصد لباب الله وادخل في الحمى وابسط بسـاط مسرة وهناء
وانزل بقوم لا يُضام نزيلهم نسلُ الكرام وملجأ الغرباء
هـم آل سعد الدين بيت طاهر ولهم كرامات وحُسنُ ثناء
وبدا شهاب الجود منهم في الورى بمكارم تنهل كـــالأنـــواء
شيخ الشيوخ ومن تسمى أحمداً وسما على العُبَاد والصُلحاء
مولى جليل القدر زاك أصله ذو نسبة فاقت على النسباء
كم من صريع قد أقام بحاله والسر يسري منه للفقراء
في سائر الأقطار شاع حديثه بمكارم جلت عن الإحصاء
والله يُبقيه ويُبقي أهله ما لاح برقٍ مُشرقٍ بسماء

رحمه الله تعالى [1]، فأتينا إلى حمَّام بساحل البحيرة يقال لها حمَّام طبرية، وهي بُركة قريبة من قامة الإنسان، وفيها ماء حار يخرج من غير علاج، فدخلنا إليها ونزل الشيخ إلى البركة وكذلك الوالد، وكان بصحبتنا رجل يقال له الحاج علاء الدين العاتكي أي من قبر عاتكة بدمشق الشام، وكان رجلاً صالحاً وله صحبة بالشيخ حسين والد الشيخ أحمد، فأخذ الرجل المذكور أسباب الشيخ وشرع في غسلها وكذلك مئزر الشيخ والوالد، فلما خرج الشيخ من الحمام جلس على مصطبة تجاه الحمام وهو بمدكوكة بيضاء مفرعاً، فبينما نحن جلوس بين يديه والوالد والفقراء وإذا بغزال يركض ركضاً وورآه كلب ولكن بينهما بعدٌ في المسافة، فقال الجماعة ما رأينا مثل هذا الغزال ولا مثل سمنه، ولكن الكلب لا يقدر عليه، ثم إن الغزال تجاوز عنَّا نحو ميل فمسك الشيخ لحيته وعض عليها وأومئ بيده إلى جهة الغزال وهو يقول: ما هي لك يا أحمد، فما لبث إلاَّ والغزال قد أقبل نحونا، وكان مع الشيخ جماعة من العبيد من جملتهم عبد يقال له بلال، وكان يحفظ القرآن كما أنزل ويقوم الليل،

[1] – هو الشيخ عمر زين الدين السعدي الحلبي . خليفة الطريقة السعدية بحلب . يُنظر ترجمته في المقدمة .

فجاء الغزال إلى أن دخل بين أرجل القوم، فوالله الذى لا اله إلاَّ هو على أن العبيد أمسكوا الغزال مسكاً باليد، ثم أنهم ذبحوه ووضعوه على حافة المصطبة، فبينما نحن من ذلك في بكاء وصراخ (يقصد أنهم في حال الذكر والسَّماع) وإذا بعبد طويل القامة وعلى وسطه خنجر فأتى مقبلاً حتى وضع يده على الغزال وأراد حمله فمنعه العبيد من ذلك، فأغلظ عليهم فضربوه وضربهم ثم أخرج الخنجر وأراد ضربهم به، فلما رآه الوالد وقد أخرج الخنجر يريد ضربهم، فضربه بيديه على يديه التي بها الخنجر فيبست من وقتها، فلما رأى العبد ذلك ولى راجعاً إلى قريته ويده يابسة والخنجر مسلول بها، فقال الشيخ أحمد رحمه الله تعالى: يا حاج عمر لا تركته يدخل القرية وهو على هذه الحالة فلا يمكن،فلحقه الوالد وكبَّس يده وردها إلى صدره، فانطلق العبد إلى القرية وأخبر مواليه بالقصة، فأتوا إلى الشيخ وعزموه وتراموا على رجليه، فأمرهم الشيخ بأخذ الغزال فأخذوه وطبخوا عليه طعام السماق، ثم أتيناهم وأقمنا عندهم تلك الليلة في مسجد وفيه مصطبة عالية، وكان في أوائل أطعمتهم لحم الغزال، فلما صلينا العشاء الآخرة وشرع الشيخ والفقراء بالذكر، أتى العبد وهو يتوكأ على عصاة معصب الرأس،

فلمَّا أتىٰ إلىٰ الشيخ وكان الشيخ إذ ذاك جالساً لأخذ العهود، فجلس العبد فقص له فقام في الحال ورمىٰ بنفسه من علىٰ المصطبة إلىٰ أرض الحوش، وكان بينها أكثر من قامة، وصار من أحسن الفقراء حالاً. ولو أننا استقصينا كراماتهم لطال المقال واتسع الحال، ولكنَّا قصدنا الاختصار فإن فيه كفاية لأهل الاعتبار. وأقول كما قال بعضهم:

لي ســـادة مـــن عـــزهم أقـــدامهم فـــوق الجبـــاه
إن لم أكـــن مـــنهم فـــلي فـــي حـــبهم عـــزٌ وجـــاه

واعلم أن ظهور الكرامات جائز عقلاً ونقلاً، لأنه ليس بمستحيل في قدرة الله،بل هو من قبيل المُمكنات كظهور معجزات الأنبياء عليهم السلام، هذا هو مذهب اهل السنة من المشايخ العارفين والنُظَّار الأصوليين والفقهاء والمحدثين رضي الله عنهم وعنَّا بهم أجمعين.

فالقول الصحيح عند جمهور الأئمة المُحققين من أهل الشأن أجمعين، أن كل ما جاز للأنبياء من المعجزات جاز للأولياء مثله من

الكرامات [1]. لكن بشرط عدم التحدي، ولا يُرد على ذلك القرآن للزومه التحدي، ولا يصح قول من يقول: أن ذلك يودي إلى الالتباس بين الكرامات والمعجزات،لأن المعجزة يجب على البَّني عليه السلام أن يتحدى بها وبظهرها، والكرامة يجب على الولي أن يخفيها ويسترها إلاَّ عند ضرورة أو إذنٍ أو حالٍ غالب.

أقول: ومن الأول والثالث أشياخنا الكرام نفع الله بهم الأنام ولتقوية بعض المريدين، كما روى أن بعض السادة غرف عسلاً من الهواء وأطعم فقيراً له، وآخر أرى غيره الكعبة عياناً.

قال اليافعي: ورأيت بعض من شاهد ذلك من الثقاة الأتقياء وأهل العرفان من العلماء. وأمَّا وقوع الكرامات نقلاً فقد جاء في القرآن والآثار والأخبار بأسانيد صحيحة، فمن ذلك في القرآن ما

---

[1] – قال بذلك الإمام الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب :8/ 29 – 30.

– وقال به الإمام الرملي في (غاية البيان شرح زبد ابن رسلان) :1/ 14 – 15.

– وقال بذلك الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم في باب البر والصلة، وذكر أن الكرامة تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها.

– وقال به التفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام :2/ 203 – 206 .

– وقال به النيسابوري في الغنية في أصول الدين: 152 – 154 .

أخبر الله عز وجل عن مريم عليها السلام بقوله: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [2]. وكان ذلك في غير أوان الرطب، وكانت النخلة يابسة أيضاً. وفي قصة ذي القرنين وتمكين الله له مالم يُمكنَه لغيره. وفي قصة أصحاب الكهف رضي الله عنهم من الأعاجيب التي ظهرت عليهم، ومن كلام الكلب معهم وغير ذلك.

وفي قصة آصف بن برخيا رضي الله عنه مع نبي الله سليمان عليه السلام في عرش بلقيس في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [3].

وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث جريج الراهب الذي كلَّمه الطفل في المهد حين قال له: يا غلام من أبوك فقال فلان الراعي. ومن ذلك

---

[1] – سورة آل عمران/ 37 .

[2] – سورة مريم / 25 .

[3] – سورة النمل / 40 .

حديث أصحاب الغار، وفي آخره فانفجرت عنهم الصخرة فخرجوا يمشون. ومن ذلك حديث البقرة التي حمل عليها صاحبها وركب عليها فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إنِّي لم أُخلق لهذا ولكنني خُلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله تعجباً أبقرة تتكلم؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنِّي أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر. ومن ذلك الحديث الصحيح المذكور في الصحيحين في أبي بكر رضى الله عنه مع ضيفه الذي قال فيه: (واللهِ ما كُنَّا نَأْخُذُ مِن لُقمةٍ إلَّا رَبَا مِن أسفَلِها أكثَرُ منها حتَّى شَبِعُوا، وصَارَتْ أكثَرَ ممَّا كَانَتْ قَبْلَ ذلك، فَنَظَرَ أبو بَكْرٍ فقالَ لامْرَأَتِهِ يا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ ما هذا، قالَت وقُرَّةِ عَيْنِي، تعني النَّبي صلى الله عليه وسلم لهي القصعة الآن أكثَرُ منها قبل ذلك أي قَبْلُ الأكل)[1].

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين أيضاً في حق سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قوله صلى الله عليه وسلم لَقَدْ كَانَ فِيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ محدَّثونَ، أي ملهمون، فَإِنْ يَكُ في أُمَّتي أَحَدٌ، فإنَّهُ عُمَرُ)[2].

---

[1]- رواه البخاري.

[2]- رواه البخاري ومسلم.

ومن ذلك قول عمر رضى الله عنه على المنبر: (يا سارية الجبل الجبل) [1]، في حال خطبته في يوم الجمعة، فبلغ صوته إلى سارية في بلاد العراق.

ومن ذلك أيضاً الحديث المتفق على صحته في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي قال فيه أبو سعدة: (أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ) [2].

ومن ذلك الحديث الصحيح في سعد بن زيد ابن عمرو بن نُفيل رضي الله عنه الذي قال فيه للتي ادعت عليه أنه أخذ شيئاً من أرضها: (اللهم إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قالَ: فَمَا مَاتَتْ حتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بيْنَا هي تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ) [3]. أخرجاه من الصحيحين.

ومن ذلك حديث البخاري الذي قال فيه ما قالته إحدى بنات الحارث: (وكَانَتْ تَقُولُ: ما رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِن خُبَيْبٍ، لقَدْ

---

[1] – ذكر هذه القصة ابن حجر في الإصابة . وذكر أنه أخرجها الواقدي والبيهقي في الدلائل واللالكائي في شرح السنة. وابن الأعرابي في كرامات الأولياء . وكذا ابن مردويه.

[2] – صحيح البخاري ومسلم.

[3] – صحيح مسلم.

رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ من قِطْف عنَب وما بمَكَّةَ يَومَئذ ثَمَرَةٌ، وإنَّه لَمُوثَقٌ في الحَديد، وما كانَ إلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ)[1]. يعنى بهذه المرأة بنت الحارث ابن عامر بن نوفل.

ومن ذلك حديث البخاري في أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما الذي قال فيهما: (أنَّ رَجُلَيْن من أصْحَاب النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَا من عند النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في لَيْلَة مُظْلمَة ومعهُما مثْلُ المصْبَاحَيْن يُضيئَان بيْنَ أيديهمَا، فَلَمَّا افْتَرَقَا صَارَ مع كُلِّ واحد منهما واحدٌ حتَّى أتَى أهْلَهُ)[2].

ومن ذلك الحديث الصحيح في الرجل الذي سمع صوتاً في السحاب يقول: (اسْقِ حَديقَةَ فَلان)[3].

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، فهذا ما لخَّصناه منهما. وقد صنَّف بعض العلماء في ذلك كتباً كثيرة، فإن قيل ما بال الصحابة رضى الله عنهم لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثيرة مثل

---

[1] – صحيح البخاري.

[2] – صحيح البخاري.

[3] – صحيح مسلم، وأخرجه الطيالسي(2710)، والطبراني في (الدعاء) (988). وأبو نعيم في حلية الأولياء (3/ 276) باختلاف يسير.

ما اشتهر على الأولياء، والحال أن الصحابة رضى الله عنهم أولياء وأفضل ممَّا بعدهم، لقوله صلَّى الله عليه وسلم: ﴿أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ﴾[1].

وقوله صلَّى الله عليه وسلَّم:﴿ خيرُ القرونِ قرْني، ثمَّ الَّذين يلونَهم، ثمَّ الَّذين يلونَهم ﴾[2].

الجواب: قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى لمَّا قيل له: يا أبا عبد الله ما بالنا لم نُروَ لنا عن الصحابة من الكرامات مثل ما قد روي عن الأولياء، فقال: أولئك كان إيمانهم قوياً فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقوي إيمانهم به، وغيرهم إيمانهم ضعيف لم يبلغوا أولئك فتقووا بإظهار الكرامات.

قال اليافعي رحمه الله: قال بعض الشيوخ الكبار في كرامات مريم عليها السلام، كانت في بدايتها يتعرَّف عليها بخرق العادات بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلاً ليقينها، فكان كلما دخل عليها زكرنا

[1] – قال أهل العلم لا يصح هذا الحديث.

[2] – صحيح = ابن رجب الحنبلي، ومثله في صحيح البخاري .

المحراب وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

وقال الشيخ العارف السهروردي رحمه الله تعالىٰ: خرق العادات إنَّما يُكَاشف بها لموضع ضعف يقين المكاشف رحمة من الله لعباده العُبَّاد، ثواباً معجلاً لهم، وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحُجب عن قلوبهم وباشر بواطنهم روح اليقين، فلا حاجة لهم إلىٰ مدد من المخرقات ورؤية القدرة والآيات.

ونقل عن المتأخرين من المشايخ الصادقين أكثر من ذلك، لأن الصحابة رضى الله عنهم في بركة صحبة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ومجاورة نزول الوحي وتردُّد الملائكة وهبوطها، تنوَّرت بواطنهم وعاينوا الآخرة، وزهدوا في الدنيا وتزكَّت نفوسهم وانخلعت عاداتهم وانفصلت، فصقُلت مرايا قلوبهم فاستغنوا بما أُعطوا من رؤية الكرامات واستماع أنوار القدرة، ومن بلغ من قوة اليقين هذا المبلغ يرىٰ في إجرآء عالم الحكمة ما لا يرىٰ الغير من القدرة إلىٰ غير ذلك.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالىٰ: وكل نبي أظهر كرامته علىٰ واحدٍ من أمته فهي معجزة من معجزاته، وقد

تكون هذه الكرامات إجابة دعوة أو إظهار طعام في أوان ضائقة من غير سبب ظاهر، أو حصول ماء في زمن العطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو تخليصاً من عدو، أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضةً للعادة.

فإن قال قائل تشتبه الكرامات بالسحرأُ جيب: قال المشايخ العارفون والعلماء المحققون في الفرق بينهما أن السحر يظهر على يد الفسَّاق والزنادقة والكفار، وأما الأولياء فهم الذين بلغوا رتبة التقوي والالتزام بالأحكام فافترقا.

واعلم أن الناس في إنكار الكرامات مختلفون: منهم من يُنكر الكرامات مطلقاً، فهذا عن الخير مصروف، ولسانه في أعراضهم يجول ويطوف، فهذا عن باب الله مطرود، وطريق الوصول عن سلوكه مسدود.

ومنهم من يُكذِّب بكرامات أولياء زمانه ويُصدِّق بكرامات الأولياء الذين قبل زمانه، فهؤلاء كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: إسرائيليون صدَّقوا بموسى وكذبوا بمحمد وغيره من الأنبياء.

ومنهم من يُصدِّق بأن لله تعالى أولياء ولهم كرامات، ولكن لا يُصدِّق بأحد معين من أهل زمانه، فهؤلاء محرمون أيضاً، لأن من لم

يُسلِّم لواحد معين لم ينتفع بأحد. كما أنشدوا في هذه المعنى هذه الأبيات شعراً:

إذا كنت المُكذِّب يا جهولُ عن الآيات تصدقك العقول
فلن بالفهم ترجع نحو شيءٍ له الدين المُصدق والرسول
بأن إلهنا ما شاء يقضي قدير ليس يعجزه المهول

قال اليافعي رضى الله عنه: قلت والعجب كل العجب ممَّن ينكر الكرامات وقد جاء في الآيات الواضحات الكثيرات والمشاهدات عن السلف والخلف، وبلغت في الكثرة والشهرة في جميع البلاد مبلغاً يخرج عن الحد والتعداد، ثم أن كثيراً من المنكرين لو رأوا الأولياء والصالحين يطيرون في الهواء لقالوا: هذا سحر مبين، ولا شك أن من حُرم التوفيق وضلَّ عن سواء سبيل الطريق، كذَّب بالحق غيباً وحدثاً كما قال ربُّنا وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1].

فواعجباه كيف يُنسب السحر وفعل الشيطان إلى الأولياء، أولياء الله المُقرَّبين والأبرار الصالحين الزاهدين العابدين الصابرين

[1] – سورة الأنعام/ 7.

الشاكرين الخائفين الراجين الورعين المتوكلين الراضين المُحبين العارفين المُطهَّرين من الصفات المذمومات، المتحلين بمحاسن الصفات المحمودات،المُتخلقين بأخلاق المولى جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ المخبتين، الذين إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3].

وقال صلَّى الله عليه وسلم: ﴿ رُبَّ أَشْعَثَ أغبرَ مَدْفُوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لَأَبَرَّهُ ﴾[4]. انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

[1] – سورة العنكبوت/ 69.

[2] – سورة الحج/ ٣٤-٣٥ .

[3] – سورة النحل / 99.

[4] – رواه مسلم .

الباب الثالث

في الوجد والأحوال الواردة على قلوب أحباب الله وأوليائه المحفوفين بعناية الله وآلائه

قال السَّادة بلغنا الله وإياكم القصد والإرادة: الوجد لهيب يتأجج من شهود عارض مُقلق، وهو على ثلاث درجات.

الدرجة الأولى: وجدٌ عارض يستفيق له شاهد السَّمع أو شاهد البصر أو شاهد الفكر، أبقى على صاحبه أثراً أولم يُبقِ.

وأما الدرجة الثانية: وجدٌ تستفيق له الروح بلمع أزلي أو سماع نداء أولي أو جذب حقيقي، إن أبقى على صاحبه لبٌّ أو لم يُبقِ عليه نوره.

وأما الدرجة الثالثة: وجدٌ يخطف العبد من يد الكونين، ويمحض معناه من دون الحظ، ويسلبه من رِق الماء والطين.

وقال الشيخ السهروردي الكبير رحمه الله تعالى: إعلم أن الوجد يشعر بسابقه فَقدٌ، فمن لم يفقد لم يجد، وإنَّما كان الفَقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه، فلو تمحَّض عبداً تمحَّض حراً، فمن تمحَّض حراً أفل من شرك الوجد، فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا لتخلف شيء من العطايا.

قال الحصري رحمه الله تعالى: ما أدوِّنُ حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه، فالوجد بالسَّماع في حق المُحق كالوجد في حق المُبطل من حيث النظر إلى انزعاجه وتأثر الباطن به إلى آخره.

مرَّ ممشاد الدينوري بقوم فيهم قوال، فلما رأوه أمسكوا فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه، فلو جُمعَت ملاهي الدنيا في أذني ما شَغل همي ولا شُفي مرضي.

فالوجد صُراخ الروح المبتلى بالنفس تارة في حق المُبطل، وبالقلب تارة في حق المُحق. فمثار الوجد الروح الروحاني في حق المُحق والمبطل، ويكون الوجد تارةً من فهم المعاني تظهر، وتارة من مُجَرَّد النَّغمات والألحان، فما كان من قبيل المعاني يُشارك النفس والروح في السماع في حق المُبطل، ويُشارك القلب والروح في حق المُحق، وما كان من قبيل مُجَرَّد النغمات بتجرُّد الروح بالسماع، ولكن في حق المُبطل يسترق النفس السمع، وفي حق المُحق يسترق القلب والسمع، ووجه استلذاذ الروح بالنغمات أن العالم الروحاني يجمع الحُسن والجمال ووجود التناسب في الهياكل، والصور ميراث الروحانية، فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والألحان المتناسبة تأثر به لوجود الجنسية، وإذا كانت الألحان لا تلحق هذا الروح مع

لطافة مناجاتها وخفي لطف مناغاتها كيف يلحقه السماع بطريق فهم المعاني وهو أكثف، ومن يضعف عن حمل لطيف الإشارات كيف يتحمل ثقل أعباء العبارات، وأقرب من هذا عبارة تقرُب إلى الأفهام. الوجد وارد يرد من الحق سبحانه و تعالى، ومن يرَ الله لا يقنع بما من عند الله، ومَن صَار في محل القرب متحققاً به لا يُلهيه ولا يُحركه ما من عند الله.

قالوا: رد من الله مُشعر ببعد، والقريب واجد فما يصنع بالوارد، والوجد نار والقلب المواجد بربه نور، والنور ألطف من النار، والكثيف غير مسيطر على اللطيف، فما دام الرجل البالغ مستمراً على جادة استقامته غير مُنحرف عن وجهة معبوده بنوازع وجوده، لا يُدركه الوجد بالسماع، فإن دخل عليه فتور إلى آخره.

حكى عن بعض السَّادة أنه وجد من السَّماع، فقيل له: أين حالك من هذا، فقال: دخل عليَّ داخلٌ أوردني هذا المورد.

وقال بعض أصحاب سهل: صحبت سهلاً سنين ما رأيته تغير عند شيء كان يسمعهُ من الذكر والقرآن، فلمَّا كان آخر عمره قُرئ

عنده قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ [1]. ارتعدَ وكَادَ يسقط، فسألته عن ذلك فقال: لحقني ضعف.

وسمع مرَّة يتلى قوله تعالى: ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [2]. فاضطرب، فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال: ضعفت، فقيل له: إن هذا من الضعف فما القوة، قال: القوة أن لا يرد عليه وارد إلاَّ يتبلَّغه بقوة حاله.

أقول: هذا حال من له قوة التبلُّغ، ومن لم يكن له قوة ذلك يظهر عَليه أثر ما هنالك.

قال أبو بكر الكتاني: سماع العوام على متابعة الطبع، وسماع المريدين رغبة ورهبة، وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنِعم، وسماع العارفين على المشاهدة، وسَمَاع أهل الحقيقية على الكشف والعيان، ولكل واحدمن هؤلاء مصدر ومقام.

اعلم وقفني الله وإيَّاك لما يحب ويرضى. أن للصوفية آداب يتعاهدونها في صحبتهم ومعاشرتهم، استحسنوا ذلك واصطلحوا عليه، فمن ذلك أن أحدهم إذا تحرك بالوجد وقعت منه خرقة أو

---

[1] – سورة الحديد/ 15 .

[2] – سورة الفرقان / 26.

رمى عمامته إلى الحادي، فالمستحسن عندهم موافقته من الحاضرين له في كشف الرأس إذا كان ذلك من مُتقدم وشيخ، فإذا كان ذلك من شاب في حضرة الشيخ فليس على الشيوخ معه موافقة الشبان في ذلك، ويستحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين في ترك الموافقة في الشباب، فإذا سكتوا يرد الواجد خرقته ويوافقه الحاضرون برفع العمامة، ثم ردها على الراس في الحال للموافقة، والخرقة إن رُميت للحادي، فهي للحادي إذا قصد إعطاءها له، وإن لم يقصد إعطاءها للحادي فقال بعضهم: هي للحادي لأنه المُحرك لرمي الخرقة، وقال بعضهم: هي للجميع لأن المحرك قول الحادي مع بركة الحاضرين في أحداث الوجد لا يتقاصر عن قول القائل، فيكون الحادي واحداً منهم.

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومَ بَدر: ﴿من فعلَ كذا وَكَذا فلَهُ من النَّفلِ كذا وَكَذا، قالَ: فتقدَّمَ الفِتيانُ ولزمَ المشيَخةُ الرَّاياتِ فلم يَبرحوا بِها، فلَّما فتحَ اللهُ عليهم، قالَ المشْيخةُ: كنَّا رِدءًا لَكُم لَو انهزَمتُمْ لَفِئْتُم إلَينا فلا تَذهَبوا بالمَغنمِ﴾[1]. فأنزل الله

[1] – أخرجه الطحاوي في (شرح معاني الآثار) (5208)، والبيهقي في (دلائل النبوة) (3/ 135).

تعالىٰ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[1]. فقسَّم الرسول صلىٰ الله عليه وسلم بينهم بالسَّوية.

وقيل: إذا كان القوال من القوم يجعل كواحد منهم، وإذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يؤثر بها، وما كان من سهم الفقراء يُقسَّم بينهم، وقيل إذا كان القوال أجيراً فليس لهُ منها شيء، وإن كان متبرعاً يؤثر بذلك وكل هذا إذا لم يكن هناك شيخ يحكم بيهم، فإن كان هناك شيخ مهاب يحكم ويُمتثل أمره فيما يأمر به، فإن قلت هل لهذا الفعل أصلاً في السُنة، قلت: نعم.

روي عن كعب بن زهير أنه دخل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المسجد وأنشد أبياته التي أولها:

بانت سُعاد فقلبي اليوم متبول مُتيَّم إثرها لم يُجزَ مكبولُ

حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله:

إنَّ الرَسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسلولُ[2]

فقال له الرسول صلَّىٰ الله عليه وسلّم: من أنت فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أنا كعب بن زهير، فرمىٰ

---

[1] – سورة الأنفال / 1.

[2] – قصيدة البردة .

رسول الله صلى الله عليه وسلَّم بردة كانت عليه، فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهر، بعِنا بُردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجَّه إليهماكنت لأوثِر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاد بعشرين ألفاً وأخذ البردة، ومازالت تنتقل من واحد إلى آخر حتى وصلت إلى الملك الناصر لدين الله أعاد الله علينا من بركاتها.

قال بعضهم:

تفوح أرياح نجدٍ من ثيابهم يوم القدوم لقرب العهد بالدارِ

وكان الَّنبي صلى الله عليه وسلم يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول: ﴿ أَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّه ﴾[1].

فالخرقة المُميَّزة والملحفة عند الوجود جديدة العهد بذلك الوارد.

وروي عن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه أنه قال: أُهدي للنبي صلى الله عليه وسلم حُلَّة حرير فأرسل بها إليَّ، فخرجت فيها فقال لي: ما كنت أكره لنفسي شيئاً أرضاه لك، فشققتها بين النساء خُمراً.

[1] – رواه أبو داوود ، وعند مسلم باختلاف يسير.

واعلم أن في حديث كعب بن زهير فوائد: منها جواز سماع الشعر وإن كان فيه ما كان. ومنها جواز إعطاء الشاعر شيئاً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه بردته الكريمة، ومنها ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من السخاء وكرم الاخلاق وجبر القلوب وغير ذلك مما لا يخفى على أهل البصر والبصيرة، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق وعندي جاريتان لعبد الله بن سلام يضربان بالدف ويغنيان، فلما دخل أمسكنا، فتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سرير في البيت واضطجع وتسجي بثوبه، فقلت ليحلَّن اليوم الغناء وليُحرِّمنَّه، فأشرت إليهما أن خذا، قالت: فأخذا فوالله ما نسيت ذلك حتى دخل أبوبكر رضى الله عنه وكان رجلاً مطاراً أي حديداً وهو يقول: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكشف رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال: يا أبا بكر لكل قوم عيد وهذه أيام عيد [1].

---

[1] – الحديث كما في الصحيحين: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دَخَلَ أبو بَكْرٍ وعندي جَارِيَتَانِ من جَوَارِي الأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ بما تَقَاوَلَتِ الأَنْصَارُ يَومَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وليسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ ، فَقَالَ أبو بَكْرٍ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسولِ اللهِ صَلَّى

قالت عائشة رضى الله عنها: كان عبد الله بن كُريز[1] يمرُّ بالمهاجرين والأنصار فينشدونه وينشدهم، فما بقي أحد يسمع إلا بكا.

وقال المزني: مررنا مع الشافعي وإبراهيم بن علي على دار قومٍ وجارية تغنيهم بهذا البيت:

خليلي مالي والمطايا كأنها تراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعي رضي الله عنه: ميلوا بنا نسمع هذه، فلَّما فرغت قال لإبراهيم: أيُطربك هذا، قال: لا.

قال مالك بن أنس: أدركت أهل العلم ببلدنا هذا لا ينكرون السَّماع، ولا يقعدون عنه ولا ينكره إلاَّ غبي أو جاهل أو ناسك غليظ الطبع.

اللهُ عليه وسلَّمَ وذلكَ في يَومِ عيد فَقالَ رَسولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يا أَبَا بَكْرٍ، إنَّ لِ كُلِّ قَوْمٍ عيدًا وهذا عِيدُنَا. رواه البخاري ومسلم.

[1] – أبو عبد الرحمن عبد الله بن عامر بن كريز رضي الله عنه،صحابي جليل فتح جميع إقليم خراسان وكان والياً في عهد عثمان ،وهو شريفٌ في قومه بارٌ بهم جوادٌ كريمٌ من أجود رجال قريش والعرب.

اعلم أن حسن الصوت من أحسن المسموعات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[1]. قال ابن شهاب هو حُسن الصوت.

وقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا بعث الله نبياً إلاَّ حسن الصوت﴾[2]. وقال: ﴿ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت﴾.

وقال أبو سليمان الداراني: إن الصوت الحسن لا يدخل شيئاً في القلب وإنَّما يحرك من القلب ما فيه.

وقال الحارث المحاسبي: فقدنا ثلاثة لا نكاد بذكرها إلى يوم القيمة، حسن الصوت مع الديانة، وحسن الوجه مع الصيانة، وحَسُن الوفاء مع الإخاء.

قال محمد بن خفيف: إن الله تعالى جعل في النفوس حنيناً إلى استماع النغمات الطيبة، على اختلاف اشتباه استلذاذ المطربات طبعاً من غير

---

[1] – سورة فاطر / 1.

[2] – روى الترمذي من حديث أنس ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجها، وأحسنهم صوتاً . قيل وإسناد هذا الحديث تالف، انظر : تهذيب الكمال(6/ 7) . كذا في: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية – المؤلف: الزرقاني، محمد بن عبد الباقي . ج/ 5 . ص 444 .

تكليف، بل يقع في المسامع فيأخذ القلوب والأرواح من طيب كسب القول من النغم، من غير دراية ولا معرفة منها كما في القول، بل يأخذه على البديهة ويتحكم بالصفات، ثم بعد الاستقرار يؤدي إلى كل ذي حال ماله فيه من ذلك، وما غلب عليه من معانيه فلأهل الحق القائمين بحقائق التحقيق المنفردين بأحكام التقرير والتجريد، شرب يليق بما أفردوا بها وخُصوا بمعانيها، فإذا هدأت واستقرت أسفرت عن معالم عجيبة وأحكام علية، وهذا لم يحل منه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا الأولياء ولا أهل الحقائق من النجباء.

وقد ضرب أبو سعيد بن الأعرابي في ذلك مثلاً فقال: ألم تر إلى الطفل الوليد يخرج من بطن أمه وهو طاهر من الأدناس، لا يعرف خيراً فيختاره ولا شراً فيجتنبه سوى ما فُطر عليه من الهداية إلى ثدي أمه، وما خالط الروح من الاريحية التي ليس من فعله كيف إذا ناغاه المناغي وناجاه المناجي، وهو لا يعرف من ناغاه ولا من ناجاه، ولا يفهم العبارة كيف ينجذب إليه تقلباً ويبتهج تبسماً، ويمتلئ سروراً بالمناغاة والمناجات، فقد قهرته ضرورة الفطرة لما جُبل عليه وقادته الأريحية الكامنة فيه، إن شئت قلت مكتسباً، وإن شئت قلت مضطراً، فروحه منزعجة وجوارحه متحركة، يكاد يطير شغفاً وفرحاً ويلهو

بذلك عن ثدي أمه وعن الغذاء الذي يطلبه، والعلَّة التي تولع بها من شرب اللبن، فالصوت يطربه والشخص يونِّقه والحال يحمله.

وقال بعضهم: الصوت الطيب روحاني الروح، روحانياً قليّاً كلاهما، إذ كل ذي روح سليم يحب كل ذي صَوت طيب.

سُئل الجنيد رضى الله عنه: ما بالُ الإنسان هادئاً فإذا سمع السماع أضطرَبَ أو صرخ ، فقال: إن الله تعالىٰ لمَّا خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله: ﴿ ألست بربكم ﴾ استفرغت الأرواح عذوبة الكلام، فإذا سمعوا الكلام أو السماع حرَّكهم ذكر ذلك من حيث الاحتراق.

وقال صاحب البوارق [1]: سماع هذه الطائفية عبارة عن ملاحظة الأسرار الغريبة من الاشعار الرقيقة، التي يُنشدها القوال مقروناً بالوجد الحاصل في قلب العارف العامل والمريد الكامل، يحملهم علىٰ خلع العِذار والانجذاب إلىٰ جناب الواحد القهار، والاطلاع علىٰ رقائق الأسرار، إنَّما اختاروا لدفع هذه الحجب السَّماع بالأصوات الحَسنة في معظم الأوقات بعد أداء المأمورات، لأن طبيعة الإنسان مائلة إلىٰ الصوت غريزة لاجتلاب منافعه ودفع المضار بواسطته، فإن قلت أن فقراء زماننا ليسوا كفقراء الزمان

[1] – كتاب (بوارق الإلماع في تكفير من يحرم السماع). أحمد بن محمد الطوسي .

الأول لِ فساد الزمان وأهله، قلت: نعم الأمر في ذلك كما ذكرت، ولكن المراد منَّا التشبه الصوري بمن مضىٰ من الإخوان.

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وسلم: ﴿من تشبه بقومٍ فَهوَ منهم﴾[1]. ﴿ومن أحب قوماً حشر معهم﴾[2].

وقال اله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3]. أي إن لم تكونوا منهم فكونوا معهم.

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[4]. أي الحق والحكمة والموعظة والزواجر، وأسمعهم أعم أن يكون قرآناً أو حديثاً أوِ ذكراً أو أشعاراً أو غير ذلك.

---

[1] – اخرجه أبو داوود واللفظ له ، وأحمد .

[2] – قال العجلوني في كشف الخفاء: من أحب قوما حشر معهم ـ رواه الحاكم في مستدركه جازماً به بلا سند، ويشهد له: المرء مع من أحب، ورواه الطبراني والضياء عن أبي قرصافة بلفظ: من أحب قوما حشره الله في زمرتهم. اهـ.

[3] – سورة التوبة/ 119.

[4] – سورة الأنفال/ 23.

قال صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿إن من الشعر حكمة﴾ [1]. فمن لم يعلم الله به خيراً فلا يسمعه الحكمة والمعرفة والمواعظ والزواجر، فلا يسمعه الخير والحق من الأشعار.

وروي في الصحيحين عن الرُبَيّع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها أنها قالت: ﴿دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ غَداةَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ علَىٰ فِراشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وجُوَيْرِياتٌ يَضْرِبْنَ بالدُّفِّ،يَنْدُبْنَ مَن قُتِلَ مِن آبائِهِنَّ يَومَ بَدْرٍ، حتَّىٰ قالَتْ جارِيَةٌ: وفينا نَبِيٌّ يَعْلَمُ ما في غَدٍ. فقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ: لا تَقُولِي هَكَذا وقُولِي ما كُنْتِ تَقُولِينَ﴾ [2]. وكان قولها بيت شعر:

تحارب أقوام ببرقة سمهد بضرب وطعن والسيوف المهند

فعدلت إحداهما إلىٰ قولها وفينا نبي يعلم ما في غدٍ. هذا الحديث دل علىٰ أنه صلىٰ الله عليه وسلم سمع صوت الدف والغناء والشعر من الجويريات التي لهنَّ حالة تحرم أصواتهن في الكبر من غير حاجة، وهو صلىٰ الله عليه وسلم حاضر يُصغي إليهن ويسمع مقالتهن.

---

[1] – صحيح البخاري .

[2] – صحيح البخاري .

فإذن سماع الغنا وصوت الدف من الرجل بطريق الأولى، فكيف وقد أمر الجويرية بالغناء شعراً وضرب الدَّف، حيث قال: قولي ماكنت تقولين، والأمر للوجوب، إذا تجرد عن القرائن كقوله تعالى: ﴿أقيموا الصَّلاة﴾[1]. وللندب كقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[2]. وللإباحة كقوله تعالى: ﴿وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[3]. وههنا الأمر يحتمل الوجوب، لأنه صلَّى الله عليه وسلَّم أمرها مشافهةً بإعادة ما كانت تقوله وهو مصغي إلى معانيه، فإذا طلبَ صلَّى الله عليه وسلَّم شيئاً مصغياً إلى معناه وجب ذكره، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دَعَاكُمْ﴾[4]. ومتابعته صلَّى الله عليه وسلَّم واجبة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[5]. واستدعاء قول المغني قول غناءليس بواجب إجماعاً، فبقي على الإباحة.

---

[1] – سورة الأنعام / 72.

[2] سورة النور / 33.

[3] – سورة المائدة/ 2.

[4] – سورة الأنفال/ 24 .

[5] – سورة آل عمران/ 31 .

قال الفقهاء في أصول الفقه: فعله المجرد يدل على الإباحة عند مالك، وعلى الندب عند الشافعي، وعلى الوجوب عند بن شريح وأبي سعيد الإصطخري.

وأما الكلام على حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم في صدر الباب ونهي أبو بكر رضي الله عنه، فهذا بصراحته دال أيضاً على جواز سماع الدُّف والغنا وحضورهما والرَّد على منكرهما، لأنه صلَّى الله عليه وسلَّم بيَّن وجه الفعل بقوله: دعها فإنها أيام عيد، وردَّ المنكر.

فمن قال أن سماع الغناء حرام وضرب الدُّف حرام وحضورهما حرام فكأنه قال: إن النَّبي صلى الله عليه وسلم سمع حراماً، ومنع الناهي عن الحرام، ومن اعتقد ذلك كفر بالإجماع.

أقول: هذا في سماع الغناء الذي فيه ما فيه وسماع الدُّف، فكيف بمن ينكر على الذكر بأقوال رجال الله، ومن ذكر كراماتهم وأحوالهم الواردة عليهم من فيض مدد أشياخهم، فهذا لا ينكره أحد ممَّن له أدنى عقل، فكيف ينسب الإنكار إلى المتخلقين بأخلاق العلماء، وطالعوا كتب القوم وما فيها من ذلك، فنسأل الله تعالى التوفيق لأحسن طريق.

فإن قيل يجوز الغناء وضرب الدف في يوم عيد لا في غيره لأنه صلَّى الله عليه وسلَّم قيَّد جوازه بيوم عيد، وبه قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه. قلت: الاتفاق على أن خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]. نزلت بحق أبي جهل وأبي لهب وعتبة وشيبة وعبد الله بن سلول، والحكم عام في حَق جَميع الكفار.

وفي مسند أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن الحبشة كانوا يُدففِون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرقصون ويقولون: محمد عبد صالح. وهذا بصراحته يدل على جواز حضور الرقص وسماع صوت الدُّف والغناء.

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان واقفاً على باب بيتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد وأنا أنظر إليهم. فإذا جاز اللعب في المسجد بحضرة الشارع صلَّى الله عليه وسلَّم، ففي غيره بطريق أولى.

---

[1] – سورة البقرة / 6.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1]. والقول أعم من أن يكون قرآناً أو حديثاً أو ذكراً أو غير ذلك.

وروي في الحديث أيضاً[2] أن امرأة قالت للنَّبي صلَّى الله عليه وسلم : إنِّي نذرت أن أضرب بين يديك بالدُّف، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: إن كنتِ نذرتِ فاضربي، فضربت وغنَّت تقول:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر عَلَيْنَا مَا دَعَا لله داع

وقد ذكر الماوردي في الحاوي الكبير كلاماً معناه أن معاوية بلغه أن عبد الله بن جعفر مكباً على السَّماع مُستغرقاً أوقاته فيه، فقال لعمرو بن العاص: قم بنا إليه فإنه غلب هواه على شرفه، فأتيا إليه

---

[1] – سورة الزمر/ 18 .

[2] – الحديث : أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لما رجع من بعضِ مغازيه جاءتْهُ جاريةٌ سوداءُ فقالت يا رسولَ الله إني نذرتُ إن ردَّكَ اللهُ سالمًا أن أضرب بين يديكَ بالدُّفِّ وأتغنَّى فقال لها إن كنتِ نذرتِ فأَوْفِ بنذرِك فقعد عليه السلامُ وضربت بالدُّفِّ .

رواه ابن الملقن وإسناده جيد، وورد بلفظ آخر في حديث أبو داوود .

وطرقا عَليه البَابِ، فأمر جواريه بالسكوت، وأذن لهما بالدخول، فلما استقرا قالا: يا عبدالله مُرهنَّ ليرجعن إلى ما كنَّ فيه، فجعلن يغنين ومعاوية يحرك رأسه و يهز رجليه من فوق السرير، فقال عمرو ابن العاص: إن من حيث تلحاه أحسَن خلاصك منه، فقال: صَه يا عمرو إن الكريم لطروب، وكان من كبار الصحابة وكاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومتابعة الصحابة توجب الاهتداء.

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: ﴿ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم﴾ [1]. فمن امتنع الاقتداء بهم انتفى في حقه الاهتداء.

فإن قال منكر أن ابي حنيفة رضي الله عنه والشيخ أبا البيان حرَّما السَّماع، فأنا أتابعهما في ذلك. قلت يلزمه أي التابع لقولهما أولاً، أن يثبت لفظمها المُبارك، ويؤوله على السماع من الملاهي المُحرَّمة والغناء المُضل الملهي، لا على الغناء المطلق، وإلاَّ لزمه محذورات أحدها الكفر أو الفسق، وذلك لأن الأحاديث باعتبار وصولها إلينا ثلاثة أنواع:

[1] – قال أهل العلم لا يصح هذا الحديث. والله أعلم .

أحدها المتواتر الأصل متواتر الفرع كحديث القرآن والصلاة والزكاة، فجاحده كافر.

وثانيها حديث أحاد الأصل مشهور الفرع، كأحاديث البخاري ومسلم، فجاحده فاسق.

وثالثها حديث أحاد الأصل كحديث: ﴿أنا من الله والمؤمنون من نوري ﴾[1]. وغير ذلك فلا شيء على جاحده.

وما ذكرناه من الأحاديث على إباحة السماع وجواز سماع صوت الدُّف والغناء و الأشعار آحاد الأصل مشهور الفرع، فإن جحد هذه الأحاديث فُسِّق والعياذ بالله.

وقد ذكر صاحب البوارق [2] وهو أحمد بن محمد بن محمد الطوسي من رواية الشيخ الإمام العلاَّمة إبراهيم بن محمود الحميري، من رواية أحمد بن حميد الدين البخاري الأوسي، ذكر هُنا بحثاً يزيد على الورقات،وذكر أدلة المُحرِّم أجوبة حسَنة من الكتاب والسنة، فإن أردت أن تقف على ذلك فطالع ما هنالك من كتابه: (بوارق الإلماع في الرَّد على من يُحرِّم السماع). فإن قال المنكر أن التحرك والوجد من العامي لعب وباطل، ومثل هذا اللعب حرام. قلنا: ورد في

---

[1] – قال أهل العلم: لم نجد له أصل بهذا اللفظ. وقيل موضوع. والله أعلم.

[2] – كتاب (بوارق الإلماع في تكفير من يحرم السماع) لأحمد بن محمد الطوسي.

الخبر إذا برز من أخيك كلام فلا تحمله على محمل السوء وأنت تجد لها محملاً حسناً، فإذا رأينا مؤمناً مُوحلاً عامياً أو غيره متحركاً متواجداً ولم يعرف بالباطل وجب حمل فعله على الخير، فإن كان المظنون كما ظن فذلك حملة على مُحق مثله أولى من إنكاره عليه ، كما في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: في روايته عن ربه عز وجل: إن لله ملائكة سياحون يجتمعون عند حلق الذكر، كما يأتي ذلك معنا إن شاء الله تعالى في باب الذكر، إلى أن قال في آخره:أُشهدكم أنِّي قد غفرت لهم، فتقول الملائكة: فيهم فلان ما جاء لأجل الذكر بل كان ماراً فوقف، فيقول الله تعالى: هم القوم لا يشقى جليسهم. هذا حال الجليس، فكيف بمن تشبَّه بهم، وإن التشبُّه بالكرام فلاح [1].

---

[1] – الحديث: إنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا معهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حتَّى يَمْلَؤُوا ما بيْنَهُمْ وبيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إلى السَّمَاءِ قالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهو أَعْلَمُ بهِمْ: من أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فيَقولونَ: جِئْنَا من عِندِ عِبَادٍلكَ في الأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قالَ: وَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قالَ: وَهلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لَا، أَيْ رَبِّ قالَ: فَكيفَ لو رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قالوا: من نَارِكَ يا رَبِّ، قالَ: وَهلْ رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: لَا، قالَ: فَكيفَ لو رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قالَ: فيَقولُ: قدْ غَفَرْتُ لهُمْ

قال الجنيد رضي الله عنه: الرياء قنطرة الإخلاص، أي لا بدَّ لك من المرور عليها. وقال: العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء، فلا خلاص منه إلاَّ به.

وأيضاً لمَّا تحرَّرت المذاهب واختار كل مجتهد ما غلب على ظنه بعد نظره في النصوص، وتبع كل مجتهد قوم فلا يليق لأحد أن يخطئ أحد أصلاً. فعلى هذا السَّماع مباح عند الشافعية مثلاً مطلقاً، فلا لوم على من يفعل من متابعيه ذلك، كما أن الزاني بالمرأة المستأجرة يسقط عنه الحدَّ عند أبي حنيفة رضي الله عنه، فلا لوم لمن يفعل ذلك من متابعيه، ولكن لو علم به الحاكم الشافعي حدَّه.

اعلم أن الأحوال اللاحقة للشيء ضربات حركة وسكون، فالحركة من صفة الأرواح والأسرار، والسكون من صفة الأجساد، والصور الكثيفة والحرارة والتلطيف من لوازم الحركة والجمود، والتغيير من لوازم السكون، لهذا لو بقي الماء في حومة ولو كان كثيراً تغير بمرور الزمان. قال بعضهم شعراً من أبيات إلى قوله:

فـ أَعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قالَ: فيَقولونَ: رَبِّ فيهم فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إنَّما مَرَّ فَجَلَسَ معهُمْ، قالَ: فيَقولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بهِمْ جَلِيسُهُمْ. / رواه مسلم، وعند البخاري باختلاف يسير .

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سَاحَ طابَ وإن يسح لم يطب[1]

فإذا أثر الصوت الموزون في الباطن حرَّك الروح إلى طلب الارتقاء، فتحرك الجسد بحرك الروح فيحصل في وجوده حرارة فتنحل فضلات وجوده، ويظهر في قلبه آثار مشهوده، وأيضاً إن الغذاء يقوي الجسد، وحُصُول ذلك بمباشرة الغذاء، والغذاء الروحي يقوي القلب والسِّر، وذلك بمباشرة الآت الاستنزال من النور والحياة من العالم الغيبي، وهو تحريك الروح بسماع الذكر والمعاني الغريبة والاشعار الرقيقة، وترك التعليقات الكونية والانجذاب إلى المنازل الروحانية، وآلة هذه الأنوار اجتماع الإخوان وطلب المدد من الله الرحمن.

ولقد تكلم بعض أهل المعاني في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[2]. أي ألم تنظر البصيرة أن الله أنزل من سماء الأرواح مطر العلوم والمعارف على الأرض النقية الطاهرة من الميل إلى ما سوى الله تعالى، فتصبح أرض القلب مخضَّرة بأنواع العبادات والتوجهات والأخلاق الرضية، مِثلُ الكرم والصفح والشفقة

---

[1] – البيت الأصلي للإمام الشافعي :

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

[2] – سورة فاطر / 27

والتواضع والإيثار وغير ذلك. وأشار بعضهم بهذه الأبيات إلى ما أوردناه من العبارات:

علم الحقيقة علم كشف شامل لمراتب الأكوان والألوانِ
فإذا فنيت عن التصور فاهماً أدركت حكم حقائق الرحمنِ
لا حظَّ للعقل المُحقق كثرة من كنه وحدة ذاته المنانَ
إن كنت قاصد فتح بابٍ جامع حقِّق حقائق كون كل مكانَ
ثم انسلخ عن رؤية الصور التي منهـا جوامع صفوة الإيمانَ
فإذا رفعت لواء مجد شامخ ومحوت آثار الهوىٰ وهـــوانَ
حققت حينئذٍ جوامع سره وفهمت وحدة وجهه النوراني

و مماَّ أورده السهروردي في عوارفه [1]. عن رويم أنه سُئُل عن وجد الصوفية فقال: ينتبهون للمعاني التي تعزب عن غيرهم وتشير إليهم، إلَّي إليَّ فيتنعمون بذلك من الفرح، ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاءً، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يبكي، ومنهم من يصيح.

وقال محمد بن سليمان: المستمع بين استتار وتجلٍ، فالاستتار يورث التلهب، والتجلي يورث المزيد، والاستتارٍ يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز، والتجلي يتولد منه

[1] – كتاب (عوارف المعارف) . للإمام شهاب الدين عمر السهروردي . المتوفى 632 هـ .

السكون للواصلين، وهو محل الاستقامة والتمكين، وكذلك تجلي الحضرة ليس فيها إلاَّ الذبول تحت موارد الهيبة.

وفي الحديث في مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالنياحة على نفسه وتلاوة الزبور، حتى كان تجتمع الإنس والجن السباع والطير لسماع صوته، وكان يُحَمَلِ من مجلسه ألف جنازة.

قال صلَّى الله عليه وسلَّم: في مدح أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ﴿ لقد أُوتيتَ مِزْمَاراً من مزامير آل داود ﴾ [1].

وروي عنه صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: ﴿ إن من الشعر لحكمة ﴾ [2].

ودخل رجل على رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرأون القرآن، وقوم ينشدون الشعر، فقال: يا رسول الله قرآن وشعر، فقال: من هذا مرَّة ومن هذا مرَّة [3].

وقد أنشد النابغة عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أبياته التي فيها يقول:

ولا خير في حكم إذا لم تكن له نوادر تحمي صفوه إن تكدرا

ولا خير في أمرٍ إذا لم يكن له حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا

---

[1] – صحيح – متفق عليه.

[2] – في صحيح البخاري (إن من الشعر حكمة).

[3] – لم نقف لهذا الحديث على سند .

فقال صلَّى الله عليه وسلم: أحسنت يا أبا ليلى لا فض الله فاك [1].
فعاش أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغراً.

وحكي أن ذا النون لمَّا دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوَّال فاستأذنوه أن يقول شيئاً، فأذن له، فأنشأ القول يقول:

صَــغيرُ هَــواكَ عَــذَّبني فكَيــفَ بِــهِ إذا احتَنَكــا
وَإن جَمَعــتَ في قَلبــي هــدى قــد كَــانَ مُشــتَرِكا [2]

فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته فتقطر الدم من جبهته، ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال: الذي يراك حين تقوم، فجلس الرجل.

---

[1] – عند الهيثمي أورده :
ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
فقال النَّبي صلَّى الله عليه وسلم : «أجدت ، لا يفضض فوك» .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد باب جواز الشعر والاستماع له ج3ص428 رواه البزار وفيه يعلى بن الاشدق وهو ضعيف، وقيل إسناده واهٍ

[2] – وَأنتَ جَمَعتَ من قَلبي هَوىً قَد كانَ مُشتَرِكا
أصل البيت لابن الزيات محمد بن عبد الملك بن أبان، وزير المعتصم بالله، أديب وشاعر عربي.

وحكي أن شاباً كان يصحب الجنيد، وكلما سمع شيئاً زعق وتغير، فقال له يوماً إن أظهرت منك شيئاً بعد هذا فلا تصحبني، فكان بعد ذلك يضبط نفسه، وربما كان من كل شعرة منه تقطر قطرة عرق، فلما كان يوماً من الأيام زعق زعقة فخرجت روحه.

وقيل: كان النصرآبادي كثير التولع بالسماع فعوتب في ذلك، فقال: نعم هو خير من أن تقعد و تغتاب.

وعن انس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: كنَّا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل عليه السلام، فقال يا رسول الله: إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بذلك، وقال: أفيكم من ينشدنا، فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات، فأنشأ البدوي وقال:

قد لسعت حية الهوىٰ كبدي فــلا طبيــبٌ لهــا ولا راقــي
إلاَّ الحبيب الذي شُغفت به فعنـــده رقيتـــي وتريـــاقي

فتواجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وتواجد الأصحاب معه حتىٰ سقط رداءه عن منكبيه، فلما فرغوا آوي كل واحد إلىٰ مكانه، فقال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسولَ الله،

فقال: مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداءهُ صَلىٰ الله عليه وسلم بين من حاضرهم بأربعمائة قطعة [1].

قال السهروردي نفع الله به: بعد أن ذكر الحديث، هذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يُشاكل وجد أهل هذا الزمان، وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلاَّ هذا، إلىٰ إن قال: وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها.

فعليك أيها المُنكر بحسن الاعتقاد لتفوز في الدارين بالسداد والرشاد، فها أنا قد نصحتك بلسان طلق وجنان سليم، وَلا حَولَ وَلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[1] – قال أهل العلم إن هذا الكلام كذب صريح، وإفك قبيح.

قال العلامة الآلوسي: لا أصل له بإجماع محدثي أهل السنة، وما أراه إلا من وضع الزنادقة. راجع تفسير الآلوسي (11/ 72) ففيه ما يكفىٰ للرد علىٰ هذا الافتراء.

وقال السيوطي في الحاوي (1/ 336) ما معناه: أن الحديث باطل، موضوع، باتفاق أهل الحديث.

الباب الرابع

في الذكر وإلى كم ينقسم، إلى جلي وخفي فاستقسم

روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، قالَ: فَيَسْألُهُمْ رَبُّهُمْ، وهو أعْلَمُ منهمْ،ما يَقولُ عِبادِي؟ قالوا: يَقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ، قالَ:فيَقولُ: هلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فيَقولونَ: لا واللهِ ما رَأَوْكَ، قالَ: فيَقولُ: وكيفَ لو رَأَوْنِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا، وأكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا، قالَ: يقولُ: فَما يَسْألُونِي؟ قالَ: يَسْألُونَكَ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها ؟، قالَ: يقولونَ: لا واللهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها ؟، قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ عليها حِرْصًا، وأشَدَّ لها طَلَبًا، وأعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟، قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها ؟، قالَ: يقولونَ: لا واللهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها،

قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو رَأَوها ؟، قالَ: يقولونَ: لو رَأَوها كانُوا أَشَدَّ منْها فِرارًا، وَأَشَدَّ لها مَخافَةً، قالَ: فيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قدْ غَفَرْتُ لهُمْ، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فيهم فُلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لحاجَةٍ، قالَ: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بهِمْ جَليسُهُمْ ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: ﴿ سبق المُفَرِّدُونَ قالوا: وما المُفَرِّدُونَ يا رسول الله ؟، قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال اللهُ تَعالى: ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعهُ إذا ذَكَرَني، فَإن ذَكَرَني في نَفْسِه، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملإٍ خَيْرٍ منْهُمْ ﴾[3].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ ألا أُنَبِّئُكم بخَيْرِ أعمالِكُم وأَزكاها عندَ مَليكِكُم، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم، وخيرٌ لكم من إنفاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ، وخيرٌ

---

[1] – رواه البخاري.

[2] – رواه مسلم.

[3] – متفق عليه.

لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكُم ؟، قالوا: بَلَىٰ، قال: ﴿ ذِكْرُ اللهِ ﴾ [1].

وعن أنس أنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ لا تقوم الساعة علىٰ أحد يقول الله الله ﴾ [2].

قال القشيري: قال الأستاذ: الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالىٰ، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلىٰ الله تعالىٰ إلا بدوام الذكر. والذكر علىٰ ضربين، ذكر اللسان، وذكر القلب، فذكر اللسان يصل به الإنسان إلىٰ استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب، وإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه.

وقال أبو علي الدقاق: الذكر مَنشَور الولاية، فمن وفِّق للذكر فقد أعطىٰ المنشور، ومن سلب الذِّكر فقد عزل.

وقيل: ذكر الله بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداهم، و به يدفعون الآفات التي تقصدهم.

---

[1] – أخرجه الترمذي (3377) واللفظ له ، وابن ماجه (3790)، وأحمد (6/ 447).

[2] – وفي الرواية الأخرىٰ عند مسلم " علىٰ أحد يقول الله الله "، وعند أحمد بن حنبل" علىٰ أحد يقول : لا إله إلا الله ".

وسُئل الواسطي عن الذكر قال: الخروج عن ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب.

وفي الخبر المشهور عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إذا مررتم برياضِ الجنِة فارتعوا، قيل: يا رسولَ اللهِ وما هي رياضُ الجنِة؟ قال: حلَقُ الذكرِ﴾[1].

ومن خصائص الذِّكر أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلاَّ و العبد مأمور بذكر الله تعالى، إمَّا فرضاً وإمَّا ندباً، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه، أي في حال الجنابة والطهارة.

وقال الله عزَّ وجل: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[2].

قال الإمام أبو بكر بن فورك[1]: أي قياماً بحق الذكر، وقعوداً عن الدعوى فيه.

---

[1] – أخرجه الترمذي (3510)، وأحمد (12545)، وأبو يعلى (3432) واللفظ له .

[2] – سورة آل عمران / 191

ومن خصائصه أنه جعل في مقابلة الذِّكر من العبد، الذِّكر منه: قال تعالىٰ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[2].

وفي الخبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وسلم: إن الله عزَّ وجل يقول: ﴿ أعطيت أمتك ما لم أعطه أمة من الأمم، قال: وما ذاك يا جبريل؟، قال: قوله تعالىٰ: فاذكروني أذكركم، لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة ﴾.

وقال أبو سليمان الداراني: إن في الجنَّة قيعاناً فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار[3]. فربما يقف بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت، فيقول: فتَرَ صاحبي.

وقال: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء في الذِّكر والصلاة وقراءة القران، فإن وجدتم وإلاَّ فاعلموا أن الباب مغلق.

وقال السري: مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالىٰ: إذا كان الغالب علىٰ عبدي ذكري عشقني وعشقته.

---

[1] – الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلمين، أبو بكر ، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني – سيرة أعلام النبلاء.

[2] – سورة البقرة/ 152 .

[3] – الحديث: أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربة عذبةُ الماء، وأنَّها قيعانٌ ، وأنَّ غراسَها سُبحانَ اللهَّ والحمدُ للهَّ ولا إله إلا الله و اللهُ أكبرُ . أخرجه الترمذي، واللفظ له، والطبراني .

وقال الثوري: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذِّكر.

واعلم أن السَّادة قد اختلفوا في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل، واختلفوا أيضاً هل تكتب الملائكة ذكر القلب ؟، قيل: تكتبه ويجعل الله تعالىٰ لهم علامة يعرفونه بها. وقيل: لا يكتبونه لأنه لا يطلع عليه غير الله تعالىٰ .

قال القاضي عياض: ذكر الله تعالىٰ ضربان، ذكر بالقلب، وذكر باللسان. وذكر القلب أيضاً نوعان، أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها، التفكر في عظمة الله وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه. والثاني ذكره بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أمر به ويترك مَا نهىٰ عنه ويقف عمَّا أشكل عليه، واختلفوا أيضاً في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل.

قال النووي: ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده، وذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان، ولا عبرة بذلك اللسان دون القلب.

ولكن قال بعضهم: أن ذكر اللسان يحرك القلب، فإن قلت من أين لنا علم إذا رأينا إنساناً يذكر الله بلسانه أنه ذاكر بقلبه، قلت: إن ذكر اللسان وإن وقع معه غفلة القلب فإنه منشأ عن القلب. وإلىٰ هذا أشار بعضهم حيث قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنَّما جَعَل اللسان عن الفؤاد دليلا

وأيضاً فإن لذكر اللسان شأن أيضاً، كما روي عن الشبلي رضي الله عنه أنه كان يُنشد هذه الأبيات ويقول:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة وأيسرها في الذِّكر ذكر لساني
وكنتُ بلا وجد أموت من الهوىٰ وَهَامَ علىٰ القلب بالخفقان
فلما رآني الوجد أنَّك حاضري شهدتك موجوداً بكل لسانَ
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيانِ

روي أن بعض السَّادة قيل له: كم نذكر الله ولم نجد في قلوبنا حلاوة، فقال: احمدوا الله الذي زين جارحة من جوارحكم بطاعته.

واعلم أن السَّادة الصوفية منهم من اختار (لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله) في الابتداء والانتهاء، ومنهم من اختار (لا إله إلا الله) في الابتداء والانتهاء، ومنهم من اختار الاقتصار علىٰ قول: (الله) وهم الاكثرون، وهو ما رجَّحه الشبلي وعليه أشياخنا، واختلفوا هل الجهر بالذكر أفضل أم الأسرار، قال بعضهم: إن كان عنده من يذكر بذكره فالجهر أفضل، وإن لم يكن فالإسرار أفضل.

ولمَّا كان ما بعد صَلاة الجمعة إلى وقت العصر وقت غفلة، وربَّما يغفلون عن العبادة ولا سيَّما في ذلك الوقت، فإن الناس يصلون الجمعة ويغفلون عن الوقت منها إلى العصر.

شرع السَّادة الصوفية الذكر في وقت الغفلة، لأن العبادة من ذكر وفكر، وغيرهما في محل الغفلة لها مرتبة عظيمة، وهذا ما اصطلح عليه السَّادة الأقدمون إلى يومنا هذا، ولا منازعة في اصطلاحهم.

قال الغزالي رحمه الله تعالى: أن العادات بالنيَّات تنقلب عبادات.

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: ﴿بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إلى اليمن، وقال: إنَّك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتَهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم﴾[1].

وكذلك الفقير السَّالك طريق الله، فأول ما يبدأه التوبة ورد المظالم إلى أهلها، ثم يأمره بالوضوء والصلاة، ويعلمه ما يتعلق بها من الطهارة وما يبطلها، ثم إن كان له مال يأمره بالحج والزكاة.

[1] – رواه البخاري ومسلم.

والركن الأعظم عندنا ملازمة البدايات ذكر الله تعالىٰ والاستقامة علىٰ ذلك، فإن قلت أيهما أفضل الذكر أم القرآن، قلت: قال السَّادة: القرآن ذكر وزيادة، وفرَّقوا بينهما، بأن القارئ يناجيه مولاه، والذَّاكر هو يناجي مولاه.

أقول: يمكن أن يجمع بين الذِّكر والقرآن بنيَّة كلاهما، وذلك أن الذَّاكر إذا شرع في الذكر مبتدئاً بقوله تعالىٰ: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [1]. فإنها آية من القرآن، فإذا نوىٰ بها القرآن والذكر فيكون تالياً من وجه وذاكر من وجه،وجامعاً بين الذكر والقرآن بالنيَّة فيها حصل له ثواب التلاوة والذِّكر، فإنها هي الفارقة. فإن قلت أن الفقراء يمططون الذِّكر ويُغيرون ألفاظه بألفاظ يظهر فيها زيادة ونقص، قلت: هو بحسب الأحوال والمقامات والترويحات، وفي ذلك أشار الشيخ ابن حبيب الصفدي في تائيَّته بقوله:

آه آه ولالا وتصفيق وكيف جرىٰ مع سطوة الحال محمود الفعلات

يعني إذا جري ذكر آه آه، من غير تلفظ بالجلالة مع ضيق النفس عن النطق بها، وقصد بها معنىٰ الجلالة كما قرَّره السَّادة

[1] – سورة محمد / 19.

الأشياخ في اصطلاح الذِّكر أنه يكون أولاً بالنفس الطويل، بالمد في محله والقصر في محله، والسكون عند الوقف، وتحقيق الهمزة من الهيللة، وفتح هاء إله بالاختلاس على مقتضى قاعدة التجويد المصطلح عليه عند علماء القُراء، ثم يجمع الذَّاكر الذِّكر شيئاً حتى يضيق نفسه عن النطق بلفظة التهليل، فهنالك يذكر بالجلالة مصححاً لفظها غير ماد على الهمزة من اسم الله تعالى، بل يمد على نفس الجلالة للتعظيم إن شاء المد، ولا يزال حتى يضيق نفسه فيسمع السامع منه لفظة آه آه ، والقلب قائل الله، فهذا مع غلبة الحضور، والوجد محمود فعله.

وكذلك ما يجري على لسان الشاطح من قول لا، لا، مُصفقاً أو غير مُصفق، ناوياً يا أهل الفناء والنفى، بلا لا لما سوي الواحد الحق، فهو أيضاً محمود، فإن الأمور بمقاصدها، والوقوف مع الحروف حجاب عند أهل الكشف، وبالجملة فالعمدة على حديث: ﴿إِنَّ اللهَ لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَموالِكُمْ،ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم ﴾[1].

[1] – صحيح مسلم.

وقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: ﴿إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى﴾[1].

ولأهل الله في السَّماع إدراكات ومواجيد، لا يسلمها لهم أهل الظاهر.

ولقد سُئل شيخنا العالم العلاَّمة والحبر الفهَّامة الشيخ إبراهيم العمادي بحلب المحروسة يومئذ ما صورته.

يقول السائل: ما تقول السَّادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم في الفقراء الذين يذكرون الله تعالى جملة واحد، بألحان مختلفة ومقامات مؤتلفة ترويحةً للمبتدئ، وتعظيماً لذكر الله تعالى بالمد في غير محله، وفي بعض الأحيان يقع منهم من غير قصد زيادة ونقصان عند اشتغالهم بالمعنى، من حصول خوف أو هيبة أو شوق، فهل يجوز الإنكار عليهم أم لا، وهل يأثم المُنكر ومن ينسبهم بسبب ذلك إلى الكفر، هل هو مخطئ، ومن كفَّر أخاه المسلم بغير تأويل هل هو كافر أم لا، وهل يجب عليه تجديد الإسلام والتوبة من ذلك، ويجب عليه تجديد نكاحه، وهل ورد المد

---

[1] – الحديث : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه / صحيح البخاري ومسلم .

في غير محله للتعظيم أو لئلا يبقي فعل من أفعال الصلاة بلا ذكر، وفي بعض الأحيان يُدرجون في لا إله إلاَّ الله لفظ هو، أو الله الدائم، أو اللطيف، أو واحداً، أونحو ذلك من أسماء الله تعالى، أو يقول يا شيخي، أو محمداً، أو حبيبي، أو إلاَّ الله لقصد التأكيد، أفتونا مأجورين أثابكم الله الجنة.

فأجاب الشيخ يقول: الحمدُ لله الموفق للصواب. لا يجوز الإنكار عليهم، ومن أنكر عليهم من غير إقرارهم أنَّهميتعمدون ذلك بنيَّة القراءة للقرآن العظيم فهو مخطئ مجازف في دين الإسلام، فيستحق التأديب والمنع من التكلُّم بالعلم الشريف من غير تأمل وتبصر وتحقق، وتكفيره كفر منه، فيجب عليه تجديد إسلامه ونكاحه ان لم يدخل بها، وكذا إن دخل بها عند الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، فلقد ورد في الحديث الصحيح: ﴿ أن من كفَّر أحداً بلا تأويل فقد كفر ﴾ [1].

وقد ورد المد الطويل عن حمزة أحد القراء السبعة في (الم)، وكذا قال الفقهاء : يُستحب تطويل التكبيرات للانتقالات في الصلاة إلى أن يصل إلى الركن الذي بعد الذي هو فيه، لئلا يخلو فعل الصلاة عن قول.

---

[1] – الحديث : أيُّما رجلٍ مسلمٍ كَفَّرَ رجلًا مسلمًا فإن كان كافرًا وإلا كان هو الكافرَ. أخرجه أبو داود، واللفظ له، وأصله في صحيح البخاري، ومسلم بنحوه

ورد أن الله عز وجل خلق مَلكاً ابتدأ يقول: لا إله إلاَّ الله. لا ينتهي من قولها إلى يوم القيمة، والاعتراض وارد في الكتاب والسُنة وكلام العرب، وهو أن يُؤتي في أثناء الكلام وآخره ما ليس منه والتأكيد واقع، فأهل العلم المؤَيدون من الله تعالى بالتوفيق للصواب

لا يخفى عليهم هذه الأحوال، والعبرة بهم لا بالمنكرين والمتعصبين والجاهلين القاصدين صرف وجوه الناس إليهم لأمر من الحظوظ النفسية، فإذا أدخل كلمة بين كلمتين فأكثر، وكرَّر اللفظ تأكيداً أو وقع منه غفلة بحالة من الأحوال المغيرة للشعور والعلم، فزاد أو نقص أو غيَّر إعراباً أو قال: آآآآ. أو هَا هَا هَا. أو هي هي هي. أو نحو ذلك فهو في هذه الحالة معدود في أعداد الذاكرين، صرَّح بذلك علماء الأمة المشهورين المهتدون المقيدون بالظاهر والباطن، وإن قال في ذكره: يا شيخي أو أسماه باسم فهو حسن، لأنه الواسطة بينه وبين ربه تعالى، فإن مراعات الألفاظ إنَّما تعتبر عند قيام البشرية، وأما عند فنائها فللذاكر أحوال يدركها، وسبيله في ذلك التسليم لوارده ليتصرف بما يريده، ولكن الذاكر في حال ذكره من ظهور البشرية مشغولاً لسانه بلا إله إلاَّ الله، وبقلبه لا معبود إلاَّ الله، ويبقى قلبه متصلاً بالله كما أنه في الحالة الأولى يكون متصلاً

بظاهره، وللفقير أحوال في ذكره يدركها أو قد لا يدركها هؤلاء المنكرون المتشدقون لو حرروا على ذكرهم لظهر لهم النقص فيه، فإن منهم من يحذف الفاء أو الهاء أو الغين أو يحصل منه إبدال، ومنهم من هو محجوب واقف عند لفظه وترَفُّعه على غيره، وتصويب طريقه وتخطئة طريق غيره، فهو بذلك من المحجوبين.

وقد قال صلَّى الله عليه وسلَّم في الحديث القدسي: ﴿ وإن من عبادي من لو فتح عليه باب من العبادة لأفسدت عليه إيمانه ﴾ [1].

وربما يكذب ويسمى من الهاجس، وحديث النفس والخاطر والوهم والعزم بالخاطر ويأتي بما يناسبه من الكتاب والسُنة، وحكايات عن الأئمة وهي عن التحقيق بمعزل موهون بها عن هذه الطائفة، أخذوا عن سيد الطائفة الجنيد البغدادي، وعن قطب الأقطاب سيدي عبد القادر الكيلاني، فإنه لم يشتهر فيما أعلم أحد من العلماء والأولياء ما اشتهروا به، وقَدمهم راجع إلى ذم ذاتهم شعراً:

وكل يـدَّعي وصـلاً بليـلى ولـيلى لا تقـر لهـم بـذاكَ

[1] – قال أهل العلم : لا نعلم حديثا بهذا اللفظ ، قال ابن الجوزي في (العلل المتناهية) ، هذا حديث لا يصح. – وضعفه ابن رجب في (جامع العلوم والحكم).

لكن عند الامتحان يُكرم المرءُ أو يهان، وأين مقام الواحد منَّا من مقام الواحد منهم، فإن كراماتهم تواترت، وأمَّا في هذا الزمان لأجل الإنكار عليهم وعلىٰ غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم انقلبت الكرامات إلىٰ أن منعوها ومنعوا ثبوتها بعد الموت، وربَّما أن كثيراً من الناس منعها بالكلية لبيان أصولهم في اعتقاداتهم علىٰ أصول المعتزلة والمنكرين لذلك، حتىٰ انقلبت أحوالهم وكراماتهم فصارت خذلاناً عافانا الله من ذلك، فإن أخبروا عن شيء انقلبت بالعكس، ولا يُميزون بين الإرهاص والمعونة والكرامات والمعجزة والسحر والشعبذة.

فالواجب علىٰ كل مُكلف خصوصاً في هذا القرن أن يلازم علىٰ طهارته وزكاته وصومه وذكره، فإياكم وإياهم وإياكم وإياهم.

وقال صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ استفت قلبك وإن أفتوك ﴾ [1].

وكان يقول أنس رضي الله عنه خادم النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم: (ما رأيت شيئاً ممَّا كان في زمن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم، فقالوا له: الصَّلاة، يعنون كثرة المصلين بكثرة المسلمين وفتوح البلاد بعد

---

[1] – الحديث الذي يقول فيه صلىٰ الله عليه وسلم: يا وابصةُ ، استَفْت قَلْبَك، البرُّ ما اطمأنَّت إليه النَّفسُ ، واطمأنَّ إليه القَلبُ ، والإثمُ ما حاك فِي القَلْبِ وتَرَدَّد في الصَّدْرِ ، وإن أفتاك النَّاسُ وأفتَوْك . رواه أحمد .

النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم فقال: أليس قد أحدثتم فيها ما أحدثتم). أي من تأخيرها عن الأوقات التي كانت تفعل فيها في زمن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم.

وقال للتابعين: هذا الذي تُحررونه وتُدققونه في الأعمال كالشعر نحن كنَّا نعده في زمن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم من الموبقات، أي من المهلكات، فالمؤمن لا ينبغي له أن يكون في قلبه غل ولا غش للذين آمنوا، ولا ينبغي أن يُفضِل نفسه على أحد لأنه قد يُختم له بسوء الخاتمة، ويُختم لذلك بحُسن الخاتمة، فنسأل الله السلامة وأن يوفقنا لما يحب ويرضى من القول والعمل في عافية بلا محنة والله أعلم بالصواب.

نُقل هذا من خط مولانا شيخ مشايخ الإسلام المرحوم العمادي [1]، وكان ممَّن جمع بين الولاية والعلم مع حسن الاعتقاد في السَّادة

---

[1] – شيخ الإسلام أبو السعود العمادي : محمد أبو السعود أفندي العمادي الأسكليبي الحنفي ويشتهر باسم «أبو السعود أفندي»، هو فقيه وقاضي مسلم، ترقى في القضاء حتى أصبح قاضي العسكر ويحضر الديوان العثماني، ثم أصبح مفتياً للعاصمة وشيخاً للإسلام، ساهم في جملة التشريعات القانونية التي سنها السلطان سليمان القانوني، وأهمها «قانونامة» الذي صادق عليه، وله تفسير للقرآن الكريم يسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ودعي بعده

الفقراء، وكان له اعتناء بهم في غاية ما يكون، وكان يُقيم وقتاً عنده في كل ليلة جمعة، ويُحييها حتىٰ لقىٰ الله تعالىٰ بذلك، ثم أوصىٰ من بعده لأخيه ولأولاده بصحبة الفقراء وإقامة الطريق إلىٰ الآن. وكانت وفاته رحمه الله تعالىٰ نهار الجمعة حادي عشرين رمضان المُعظَّم لسنة أربع وخمسين وتسعمائة، ودفن في تربة الصالحين. ولمَّا زاره الشيخ محمد شمس الدين الحنبلي شيخنا أيضاً أنشد عند قبره هذه الأبيات:

أضحىٰ العمادي للمقام مجاوراً ومقامة عند الإله عظيمُ
فاقصد زيارته تنل كل المُنا فضريحه في الصالحين مقيمُ
وإذا وصلت إلىٰ المقام فقل له هذا المقام وأنت إبراهيمُ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كبيرا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بلقب «خطيب المفسرين»، وهو أيضاً شاعر باللغات العربية والتركية والفارسية.

الباب الخامس

في بيان ذكر ما وقع من فتاوي علماء الإسلام

أقول: من الفتاوي التي وقعت في حق شيخ طريقينا القطب الفرد الرَّباني الشيخ سَعد الدين الجَباوي الجناني قدس الله سره، هو ما وقع في زمن الشيخ نفع الله به.

وقد سُئل عالم عصره عن حالته المعهودة وطريقته المشهورة، فأجاب الشيخ يقول مُستمداً من كرم الله المأمول:

الشيخ سعد الدين شيخ الطريقة ومنبع عين الحقيقة زبدة الأصفياء، وكعبة الأولياء، ووارث الأنبياء تحقيقاً ورسماً، وأكرم العارفين حالاً وعلماً، دعواته تخرق السَّبع الطباق، وتفترق بركاته فتملئ الآفاق، وإنِّي وإن وصفته فهو فوق ما وصفته، وناطق فيه بما منه اكتسبته، وغالب ظني أنِّي في وصفي له ما انصفته شعراً:

وما عليَّ إذا ما قلت معتقدي ... دع الجهول يظن الجهل عدوانا

والله والله والله العظيم ومن ... قد قامهُ عَلماً للناس برهانا

إن الذي قلته من بعض حالته ... ما ازددت إلاَّ لعلِّي زدت نقصانا

وسئل شيخ مشايخ الإسلام المشهور حينئذ بدمشق الشام، نفع الله به وبأمثاله، وروانا من صرف صافي زلاله ما صورته:

ما تقول علماء الاسلام والمسلمين نفع الله بهم في الدنيا والدين في السيد الجليل الشيخ سعد الدين جعلنا الله من اتباعه المفلحين، ومن فقرائه الصادقين المنتسبين إليه الأخذين العهد على يديه، إذا قوي الوجد على أحدهم وترادفت عليه حالات أشياخه من فيض مددهم، وقع على الأرض كالخشبة من غير تصنع ولا ريب، لكنه لا يغيب عن حسِّه من حاله الذي ألمَّ بأطرافه ونفسه، ويخرج من بعضهم عرق ملون من إشارات صفرا أو بيضا أو حمرا ، كما هو فيهم ومنهم معين، فهل هو نجس لكونه عَرق، وماذا تقولوا فيمن بأخلاقهم تخلَّق.

فأجاب الشيخ يقول مستمداً من كرم الله المأمول: العرق ليس بنجس، والفقراء أخبر بأنفسهم من غيرهم عند سقوطهم، ولا يجوز التفكُّه في أعراضهم ولا الاستهزاء بهم، ويُعزَّر من تعرَّض لهم بذلك قوي التعزير الشديد اللائق به من الضرب والحبس الرادع له ولأمثاله عن الوقيعة في أعراضهم مع سقوطه من أعين الرجال وانقلاب قلوبهم عليه بتغيير الأحوال، ومن المجربات التي أخبر بها علماؤنا الأقدمون أن من أطلق لسانه فيهم بالفجور لا

يصيب خيراً في نفسه ولا في ذريته من بعده، ويجب حمل السلم على السَّداد ما أمكن،سيَّما إذا خلا فعلهم عن التصنع وحاشاهم من ذلك، وأوصيهم ونفسي بالخلاص والإخلاص، ولله في خلقه أسرار يجب الأدب معها، لما ورد في الخبر المأثور أن للعلماء سر وللأنبياء سر وللأملاك سر ولله تعالى سر، فلو اطلع الجهَّال على العلماء لأبادوهم أي أزالوهم وأخرجوهم، ولو اطلع العلماء على سر الأنبياء لنابذوهم أي خالفوهم، ولو اطلع الأنبياء على سر الملائكة لاتهموهم، ولو اطلع الملائكة على سر الله تعالى لطاحوا حائرين، ونادوا ثائرين، إذ العقول الضعيفة لا تحمل الأسرار القوية، كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش، فسبحان من فاوت بين العقول وخصَّ كلاً بما أراد، والله سبحانه وتعالى أعلم. قال ذلك العلَّامة الشيخ محمد الكفرسوسي الشافعي[1]، أحد العلماء الأعلام المعوَّل عليهم بدمشق الشام.

---

[1] – محمد بن الكفرسوسي محمد بن الكفرسوسي : محمد بن عبد الرحمن الشيخ الإمام العلامة الفقيه المدرس المفتي أبو عبد الله شمس الدين الكفرسوسي الشافعي. تفقه بالشيخ نجم الدين ابن قاضي عجلون وأخيه الشيخ تقي الدين وغيرهما من الدمشقيين، وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وممن أخذ عنه الشيخ العلامة الزاهد شهاب الدين أحمد أحمد الطيبي الشافعي شيخ الإقراء

ومِمَّا أفتى به الشيخ الإمام العالِم العامل العلاَّمة شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين وإمام أهل المِلَّة والدين الشيخ أحمد شهاب الدين أبو الحسن البكري [1] نفع الله به بقوله:

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد، الموفق للحق وطريق السداد. الذكر بعد النفي والإثبات جائز كيف ما وقع، كما ذكره محمد الغزالي رضي الله عنه، في لفظ (آه. هو. الله. ها. هي. هو أوه)، لأن الفقير إذا سُلب اختياره جاز له أن يذكر الله تعالى كيف شاء وكيف أراد، لأن من لذيذ الخطاب رفع العتاب. قال صلَّى الله عليه وسلم:

بدمشق. وكانت وفاته ليلة السبت ٢٨/ ربيع الأول/ 932، وصلي عليه في الجامع الأموي، ودفن قبل الظهر بمقبرة باب الفراديس.

[1] – شمس الدين محمد بن أبي الحسن البكري 930– 994 هـ = 1524 – 1586 م، هو محدّث ومفسر وشاعر وفقيه شافعي أشعري، صوفي، لقب بشيخ الإسلام في بلاد الحرمين ومصر والشام وهو صاحب الحزب الصوفي المعروف بـ حزب البكري»، والصلاة الصوفية المعروفة بـ«صلاة الفاتح».

(أدبني ربي فأحسن تأديبي) [1]، وقال: يا محمد لا واسطة بيني وبينك ولا حجاب ولا احتجاب.

وذكر صاحب ريحانة القلوب أن الفقير إذا توجه للذِّكر إن كان جاهلاً أو عارفاً فهو إلى الله، وإن صاح وإن ناح وإن باح أو سقط أو لهج فلا يحُرم ذلك أصلاً، بل ولا يُكره لأن المبني على الذِّكرِ ذكر.

وروي أن بعض الصالحين رأى النَّبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا رسول الله: هذه الموالد التي تُقرأ لك أتسرك؟، قال: نعم، من فرح بنا فرحنا به.

وروي عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه فتل ورقص وصفَّق مع فقراء الصفة، وطاحت بردته من على كتفيه. وأنا أكفِّر من حرَّم الذِّكر كما تقدم بعد النَّفي والإثبات كيف ما كان. قال الله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [2].

---

[1] – حكم أهل الحديث عليه بالضعف ، كما في أحاديث القصاص" (78) ، وأورده الشوكاني في "الفوائد المجموعة" (1020) . والفتني في "تذكرة الموضوعات" (87) ، وقيل أن معناه صحيح .

[2] – سورة البقرة / 115.

وكيف ما قصد الفقير الذِّكر فهو ذاكر يجازىٰ علىٰ ذلك ويُثاب.

وأَمَّا الصُراخ فموسىٰ بن عمران عليه السلام صرخ ووقع، وذلك كما نصَّ عليه القرآن المجيد من هبية تجلي الحق جل وعلا.

وأَمَّا الإنشاد فليس بحرام، لأن شاعر النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم كان يُنشد بين يديه،كان له حاد يُقال له أنجشه يحدوا فيهم الإبل. فقال له النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم: يا أنجشه رويدك سوقاً بالقوارير.

وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وسلم إلىٰ خيبر فسرنا ليلاً فقال رجُل من القوم لعامر بن الأكوع: أسمعنا من هنياتك، وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدوا بالقوم ويقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فأنزلن سكينةً علينا وثبِت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿من هذا السائق فقالوا: عامر بن الأكوع، فقال: يرحمه الله تعالىٰ ﴾[1].

فيجب علىٰ المنكر أن يتوب إلىٰ الله تعالىٰ عن إنكاره، وإلاَّ سقط من عين الله تعالىٰ، وإن لم يتب عن إنكاره وأعلن بالتعبث، فيجب

[1] – صحيح البخاري ومسلم .

على ولي الأمر المؤيد بعون الله تعالى ونصره أن يُعزِّره ويُشهِّره، قال ذلك الفقير أحمد أبو الحسن البكري الشافعي رحمة الله تعالى.

وممَّا أجاب أيضاً مولانا العلاَّمة الحبر الفهَّامة شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين، وإمام أهل السُنة أجمعين، المؤيد من الله الحق المبين، أيَّد الله به وبأمثاله أهل الطريقة الصالحين. يقول:

الحمد لله الموفِّق للصواب، كيف ما توجَّه إلى الذِّكر فهو ذاكر، وكيف ما ذَكر العبد جائز، لأن الذَّاكر لا يلزمه ثبات القصد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إنَّما الأعمالُ بالنِّياتوإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى ﴾[1].

فإذا جزم الذَّاكر بقلبه ولسانه على الذِّكر فهو ذكر كيف ما وقع، يُكفَّر من يحرِّمه. قال تعالى: ﴿ أَرَأَيتَالَّذِيَنهَى، عَبدًا إذا صَلَّى ﴾[2].

أرأيت العالِم إذا منع إنساناً عن ذكر الله، وقال: إن هذا الذِّكر حرام فيكون قد التزم الإثم.

---

[1] – الحديث : إنَّما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه / صحيح البخاري ومسلم.

[2] – سورة العلق / 9.

قال صاحب الإحياء وغيره: إذا سُلب الذَّاكر وصَاح وصرخ واهتز وبقي خشبة ملقاة على الأرض، كما في طريق العارفين بالله تعالى، وكما في طريق العارف بالله تعالى سيدي أحمد الرفاعي، وسيدي الشيخ سعد الدين الجباوي وأتباعهما، وذلك أن كل شيخ على مشرب نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي الرجال من جاء على مشرب نبي من الأنبياء، فإنه روي على أن إبراهيم الخليل صلوات الله على عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، حين رأى الكوكب وقال: هذا ربي، اهتزت أركانه وشخص بصره وبقي مُلقى لا حراك به، فلَّما أفاق رأى القمر إلى آخر الآية...، نفع الله به وبأمثاله إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

خاتمة

في ذكر طرف يسير من أدب المريد وما عليه من حق الطريق من التسديد

أقول: فأول ما يجب على المريد أن يتخذ له شيخاً عارفاً مرشداً واصلاً إلى الله تعالى، يُعرِّفه ويُرشده إلى الله تعالى وإلى الطريقة التي بها وصل الرجال، ومعرفة شروطها وآدابها وأسرارها، وكل من هذه القضايا لا يمكن الوصول إلى الله تعالى إلاَّ بعد معرفتها ومعرفة الآداب.

فأول واجب عليه التوبة: وهي فرض على جميع المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾، فهذا أمر من الله تعالى، ويقتضي الوجوب إلاَّ ما صرفه صارف عن بابه، ولا تصح التوبة إلاَّ بشروطها الأربع وهي: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فات، و العزم أن لا يعود، ورد المظالم إلى أهلها، هذا عند أهل الظاهر. وعند أهل الباطن إن استطاع ردَّهَا إلى صاحبها، وإن لم يستطع فلا يقنط من رحمة الله تعالى، وليكن متيقظاً لقوله صَّلى

الله عليه وسلم: ﴿إذا أحبَّ الله العبد أرضى عنه خصمائه يوم القيمة﴾ [1].

وأما آداب التوبة: فالفرح بالطاعة، وحب الفقراء والمساكين، والمحافظة على الفرائض مع الجماعة في أوقاتها.

وأما سنن التوبة: فهجران أصحاب المعصية التي كان يكتسبها معهم، والإقلاع والبكاء على ما سلف والحزن على ما مضى.

ونوافل التوبة: فدوام الأوراد مع التوحيد بحضور القلب.

وأما فضائل التوبة: فاتخاذ شيخ عالم تقى ورع زاهد عارف بالله تعالى، فمتى أيها المريد تمَّ لك هذا المقام فأسرع بعده في الزهد والورع، وهما ترك المألوفات بالتدريج شيئاً فشيئا، ومكابدة النفس بالرياضة، وإذا فعلت ذلك وألزمت نفسك بهذه الثلاثة، وزنتها بميزان الصِّدق، فقد آن لك لبس المرقعة والبذاذة مُستلذاً بقوله صلَّى

[1] – لم يثبت هذا الحديث بالصيغة أعلاه ، وورد هذا بهذه الصيغة : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض./ فتح الباري شرح صحيح البخاري – كتاب الأدب .

الله عليه وسلم: ﴿ البذاذةَ من الإيمان ﴾ [1]. فإذا رغبت في لبسها فالزم ما يُلزمك إلزامه فيها، فإن لابس المرقعة له شروط يجب عليه التزامها، وهو أن يكون أدَّب نفسه بالآداب، ورَيَّضها بالمجاهدات والمكابدات وتحمل المشقَّات وتجرع المرارات، ويكون قد جاوز المقامات، و تأدب بالمشايخ الكرام، وتبع سُنَّة النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم.

ومِمَّا يجب علىٰ المريد أن يقف بالتبتل والانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ، ويصرف أوقاته في الذكر مع اشتغاله بالفرائض والسنن والرواب.

ومنها دوام الوضوء، فإن الوضوء نور ساطع. **ومنها** دوام الانقطاع عن الخلق إمَّا بالقلب والجسد والاشتغال بالله تعالىٰ، وإما بالقلب وإن متعلقاً بجسده مع الخلق، فليكن قلبه معلقاً بالحق. **ومنها** نفي الخواطر خيراً كان أو شراً، لأن الاشتغال بها يفوِّت المقصود. **ومنها** دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد

---

[1] – الحديث: قال رسول الله ﷺ: (ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟ إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان) أخرجه أبو داود، أول كتاب الترجل . ومعنىٰ (البذاذة) أي ترك لبس الثياب الرفيع الحسن والفخم المزخرف في الظاهر لأنه قد يأثر علىٰ الباطن . وقد جاء في الحديث الآخر (أن من ترك اللباس وهو يقدر عليه تواضعًا لله دعاه الله علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتىٰ يخيره من حلل الإيمان يلبس من أيها شاء) أخرجه الطبراني والبيهقي والحاكم.

على وصف التسليم والمحبَّة والتحكيم، ويكون في اعتقاده أن هذا المظهر هو الذي عيَّنه الله تعالى للإفاضة. **ومنها** ترك الاعتراض على الله تعالى، وعلى الشيخ ودوام الرضى بقضاء الله وقدره. **ومنها** أنه إذا شاهد ورآه بصورة ما، إن كانت مليحة أو قبيحة يشهد تلك الصورة من حُسنها وقبحها. جاء في الخبر ﴿ المؤمن مرأة أخيه ﴾[1]. **ومنها** إذا رأى واقعة في يقظه أو نوم لا يستحسنها ولا يستحقها، فربَّما يكون بعكس القبيح أو الحسن، ويعرضها على الشيخ بما فيها، ولا يكتم واقعة عن شيخه. **ومنها** حُسن الصُّحبة مع الشيخ وإخوانه والناس أجمعين، لأن ثمرة الصُّحبة والألفة ثمرة حُسن الخُلق، والتفرق ثمرة سوء الخُلق، فحسن الخُلق يُثمر الصحبة والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض.

روي عن شيخنا الكبير والعارف الشهير الشيخ سعد الدين قدس الله سره [2] أن بعض المنكرين على الفقراء سأله عن حالتهم

---

[1] – الحديث (المؤمنُ مرآةُ أخيه المؤمنُ أخو المؤمنِ يَكُفُّ عليه ضَيْعَتَه ويحوطُه من ورائه)، أخرجه أبو داود باختلاف يسير، والبخاري في الأدب المفرد، واللفظ له.

[2] – المقصود سيدنا القطب الغوث الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله سره.

المعهودة، فقال له الشيخ قدس الله سره وهو يبتسم: يا بُنَّي هل أحطت بعلم الله كله، فقال المُنكر: لا، فقال له قدس الله سره: هذا من العام الذي لا تعلمه.

وقال بعض الفقراء لسائلٍ بحضرة الشيخ قدس الله سره وهو مُغضب: مَالك في هذا الأمر من شغل، فقال له الشيخ: يا بُنَّي لا تُكلم أخاك مُغضباً ولا تنهره، وإلاَّ لا تصحبنا بعده، فإن طريق الفقراء حُسن الخُلق، فإن الله تبارك وتعالىٰ أنزل علىٰ نبيه محمد صَّلىٰ الله عليه وسلم قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]. ومهما كان المُثمر محموداً كانت الثمرة محمودة.

ولا يخفىٰ فضل حُسن الخلق، جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم أنه قال: ﴿خيَا رِكُمْ أَحْسَنكُمْ أَخْلَاقًا ﴾[2].

وروىٰ الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ ﴾[1].

---

[1] – سورة القلم/ 4.

[2] – صحيح البخاري .

ومنهاالمحبَّة في الله تعالىٰ، لما روي في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ﴾. والظل رحمته ورضوانه. فذكر منهم: ﴿ وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ﴾[2].

وجاء في الخبر من حديث أنس رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ ثلاثٌ من كنفيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار ﴾[3].

ومنها زيارة الشيخ والإخوان فإنها من أتم الأمور. وروي عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وسلّم أنه قال: ﴿ أنَّ رَجُلًا زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فأَرْصَدَ اللهُ له علَىٰ مَدْرَجَتِه مَلَكًا، فَلَمَّا أتَىٰ عليه، قالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هٰذه القَرْيَة، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها ؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ

---

[1] – رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

[2] – أخرجه البخاري ومسلم، والترمذي .

[3] – أخرجه البخاري ومسلم .

في الله عزَّ وجلَّ، قالَ (أي المَلك): فإنِّي رَسولُ الله إليكَ بأنَّ اللهَّ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فيه ﴾ [1].

ومنها أن يكون المريد متَّصفاً بالصبر والرضى وكظم الغيظ والعفو عن الزِّلات والهفوات. قال الله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [2].

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ رأيت قصوراً مشرفة على الجنة، فقلت: يا جبريل لمن هذه ؟ قال: للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [3].

وقال صلَّى الله عليه وسلم: ﴿ التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله تعالى، والعفو لا يزيد العبد إلا عزًّا، فاعفوا يعزّكم الله، والصَّدقة لا تزيد المال إلاَّ كثرة، فتصدقوا يرحمكم الله ﴾ [4].

---

[1] – رواه مسلم .

[2] – سورة آل عمران/ 134 .

[3] – من كتاب المستطرف في كل فن مستطرف / شهاب الدين الأبشيهي. وأورده السيوطي في الدر المنثور ، ورد الحديث في (كنز العمال) و(الفردوس بمأثور الخطاب) أيضا. قال أهل العلم؛ لكن لم نجد مَن حكم عليه من حيث الصحة من عدمها.

[4] – ورواه الأصبهاني؛ في الترغيب؛ والديلمي؛ في مسند الفردوس؛ عن أنس؛ قال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف .

وقال عُتبة بن عامر رضي الله عنه: لقيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلم يوماً فبادرته فأخذت بيده أو بادرني فأخذ بيدي فقال: يا عقبة ألا أُخبرك بأفضل أهل الدنيا والآخرة، قلت: بلى يا رسول الله، قال: ﴿ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفوا عمَّن ظلمك ﴾ [1].

أقول فهذا أصلاً في مذهب السَّادة الصوفية، بلَّغنا الله تعالى مراتبهم العليَّة، فمذهبهم العفو عمَّن ظلمهم، والصبر على من أساء إليهم وأنكر عليهم. وليحملوا ذلك على قصورٍ منهم وتغافلهم في حق الطريق. كما روي عن بعضهم أنه قال إنِّي لَأعرف رضا الله عنِّي وعدم رضاه من دابتي [2].

---

[1] – في الحديث القريب من هذا اللفظ ، أخرج عبد الرزاق في المصنف والبيهقي من طريقه عن معمر عن أبي إسحق الهمداني عن ابن أبي حسين قا ل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؟ أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك). قال البيهقي : هذا مرسل حسن .

[2] – مثل هذا القول قريب من قول الفضيل بن عياض: إني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي.

قال ابن رجب الحنبلي يعني : أن خادمه يسوء خلقه عليه ولا يطيعه، وحماره يستعصي عليه فلا يواتيه لركوبه فالخير كله مجموع في طاعة الله والإقبال عليه والشر كله مجموع في معصية الله والإعراض عنه (التفسير لابن رجب ج1/ ص579).

واعلم أن المرض على قسمين: متعلق بالقلب ونحوه، ومتعلق بالجسد وجوارحه.

فالأول: هو المرض الحقيقي والداء العضال المخوِّف، لأن عاقبته إلى العذاب، أما سمعت قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [1].

والثاني: فليس بمرض حقيقي وإنَّما هو مجازي يمر في أدنى مدَّة، ويُثمر لصاحبه الخير الأوفى، أما سمعت قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [2].

وينبغي لك أيها المريد أن تكتم ما عندك من العلم والعمل من غير أهله، والأهل يُبذل لهم من العلم ما يحتاجون إليه، وأمَّا لا يحتاجون إليه لا يلزمهم التفحص عنه، ولا يلزم من يعلمه أن يُبذله له أي لمن لا يعلمه لأن العلم منه ما هو واجب الإبذال، ومنه ما هو واجب المنع، والناس منهم من فيه قابلية التلقي، ومنهم من ليس فيه ذلك، فاكتم عن من لا يستحق وأجب، كما جاء في الحكمة: لا تعطوا الحكمة غير أهها فتظلموها، ولا تمنعوها عن أهلها

---

[1] – سورة البقرة / 10.

[2] – سورة الزمر / 10.

فتظلموهم. ويُرشد إلى هذا قوله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [1]. فإذا نهانا الله تعالى عن بذال الأموال التي هي لمنافع الخلق مخلوقة، فمنع العلم الذي هو جوهر للقلوب والعقول من باب أولى، وأولى أن ينهانا عن بذل نفائس العلم بخسائس النفوس

التي تضر منها الخفافيش كما يضر الجُعل بريح الورد.

وأما قوله صلَّى الله عليه وسلم: ﴿ من كتم علماً يعلمه ألجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيمة ﴾ [2].

فذلك من قسم علم العامة، فمن علَّم فاسقا علماً كان كمن باع سيفاً لقاطع الطريق. كما قاله علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم شعراً:

نِّي لَأَكتُمِ من علمي جَواهِرَهُ كي لا يَرى العلم جَهلٍ فَيَفتَتِنَ

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممَّن يعبد الوثنَ

ولاستحلَّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

---

[1] – سورة النساء / 5.

[2] – الحديث الذي ورد : (مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يوم القيامة بِلِجَامٍ مِنْ نارٍ) . رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد .

وقد تقدَّم في هذا أبو حسنٍ إلى الحسين ووصي قبله حسنا[1]

ومِمَّا يجب عليك أيها المريد عدم العتب، فإن فتح باب المُعاتبة يكدِّر صفو عيش الأحباب، ألا ترىٰ أن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف الصديق عليه السلام كيف سد هذا الباب عند صفاء الوقت ولقاء الأحباب، فقال لوالده: هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربِّي حقا، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن، ولم يقُل من الجب، وقوله لإخوته لا تثريب عليكم اليوم، فلو قال: من الجب لجدد الجرح وانتقض الصلح، وقال من السجن لكونه جرىٰ من قِبل امرأة العزيز لا من قِبل إخوته.

ويجب عليك أيُّها المريد أن تكون لطيفاً بالناس أي مترفقاً بهم، فإن الرِّفق ما كان في شيء إلاَّ وزانه، والله تعالىٰ يُحب الرِّفق في الأمور كلها، وأن تكون عفيفاً فإن العفَّة مطلوبة وهي من أهم الأمور.

وكان من دعائه صلَّىٰ الله عليه وسلم: ﴿اللَّهم إني أسألك التُقىٰ والهدىٰ والعفاف والغنا﴾. ويكون العفاف عن دنائة النفس

[1] – ينسب هذا البيت لابن عربي، وينسب للحلاج، وقيل لأحد أئمة آل البيت.

والأخلاق، بأن يعفَّ المرء فرجه بالإحصان، ويكون بمعنىٰ كفِّ النفس عن دناءة الأخلاق. يُقال: عفَّ أي كفَّ فهو عفيف، ولقد مدح الله الفقراء من الصحابة رضى الله عنهم بقوله تعالىٰ: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [1].

وأن تكون زاهداً، فإن الزهد رأس المال من السعادة، لاسيما إن كان فيما سوي الله، وكذلك الورع، فإن الورعين يستحي الله أن يعذبهم أو يحاسبهم، قال صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ إزهد في الدنيا يحبك الله ﴾ . الحديث [2].

وأن تكون جميل الخلق، أي تكون ذا خلق حسن، فالخلق الحسن أثقل ما يجده العبد في سِره، ويدرك الإنسان بالخُلق الحسن درجة الصائم القائمِ، ويكفيك في شرف ثناء الله تعالىٰ علىٰ نبيه محمداً صلَّىٰ الله عليه وسلم بقوله: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [3]. وهو أي الخُلق الحسن ملكة في النفس المطمئنة، تصدر عنها الأطلَاق الحميدة، وعكسه الخُلق السيء.

---

[1] – سورة البقرة/ 273.

[2] – رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة .

[3] – سورة القلم / 4.

وأن تكون متأدباً بآداب الله تعالى، فإن الله تعالى خلق الأدب كله ووضعه في بيت، وجعل مفتاحه أدب مع الخُلق والخالق، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [1]. وقال صلَّى الله عليه وسلم: ﴿ إن الله أدبني فأحسن تأديبي ﴾ [2].

واعلم أن لكل مقام أدبا، ولكل حالة أدباً ظاهراً وباطنا قولاً وفعلاً. والكلام هنا يطول، فعليك بمطالعة هذا المبحث في الأحياء وغيره والله أعلم.

واعلم أن السالكين ينقسمون إلى أربعة أقسام. سالك، ومجذوب، وسالك مُتدَارك بالجذبة، ومجذوب مُتدَارك بالسلوك.

---

[1] – سورة الحجرات/ 3.

[2] – الحديث المشهور : (أدَّبني ربي، فأحسن تأديبي) قال ابن تيمية : لا يعرف له إسناد ثابت. "أحاديث القصاص" (78)، وأورده الشوكاني في "الفوائد المجموعة" (1020)، والفتني في "تذكرة الموضوعات" (87)، وقال أهل العلم في أنه حديث (صح معناه).

فالسالك المجرَّد: لا يُؤهَّل للمشيخة، ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه، فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى في مقام المعاملة والرياضة، ولا يرتقي إلى حال تروَّح بها عن وهج المكابدة.

والمجذوب المجرد: من غير سلوك يُباديه الحق جل وعلا بآيات اليقين، ويرفع عن قلبه شيئاً من الحجاب، ولا يؤخذ في طريق المعاملة، فهذا أيضاً لا يُؤهَّل للمشيخة، ويقف عند حظه من الله تعالى مروحاً بأحواله غير مأخوذ بها في طريق أعماله، ما عدا الفريضة.

والسالك الذي تَدارَكَ بالجذبة: هو الذي كانت بدايته المجاهدة والمكابدة والمعاملة بالإخلاص والوفاء والشروط، ثم أُخرج من وهج المكابدة إلى روح الحال، فوجد العسل بعد العلقم وتروَّح بنسيمات الفضل، ومالت إليه القلوب، وفُتح عليه بأنوار الغيوب، وصار ظاهره مُسدَّدا وباطنه مُشاهدا، وصلُح للخلوة وصار لهُ في خلوته جلوة، فيُأهَّل مثل هذا للمشيخة.

والقِسم الرابع: وهو المجذوب المُدارك بالسلوك. يُباديه الحق تبارك وتعالى بالكشوف وأنوار اليقين، ويرفع عن قلبه الحجب، ومن هذا القِسم كان شيخنا العارف بالله تعالي الشيخ سعد الدين

الجَبَاوي الجناني قدس الله سره، فإنه فُتح عليه بالجذبة، ثم أفاض أنوار باطنه على ظاهره، وجرت عليه صور المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء بل بلذَّة وهناء، حتى امتلأ قلبه بحب ربه. ولقد روي عنه أنه يكون جالساً بين جُلسائه فيغلب عليه الجمال فيبتسم، ثم يغلب عليه الجلال فيبكي، ثم يقول: الله. فيخرج من فيه لمع نورٍ يُشاهده منه كثير من جلسائه. نفعنا الله به وبأمثاله. ولله در القائل حيث قال شعراً:

أنا العبدُ المُقيم على العهـودِ ... ولو عدمت حياتي مع وجودي
وجودي منكم بكـم حيـاتي ... وذكـركم أُنسي ـ في وجـودي
ملكتم قيدَ رِقِّـي في هـواكم ... بـإطلاق المـدامع والعهـودِ
مـرادي منكم نظر بلُطيـفٍ ... على رغم العذول مع الحسودِ
فأنتم سادتي لا حُلت عنكم ... ولو أُضرمـت في نـار الوقـودِ
فرقوا واجبروا بالوصل كسري ... فجسمي ذاب مـن ألم الصـدودِ
ألا يا شيخ سعد الدين أنتَ ... المُكنـى بالديانـة والسـعودِ
وقد أسقاك خير الخلـق صرفـاً ... شرابـاً وافيـاً بـاقي الـورودِ
وقد أُسقيت كأس الحُب صرفـاً ... من المختـار في حـال الشـهودِ
فكم من مُقعدٍ قد قام يمشي ... بلمسٍ منك مـن بعـد الجمـودِ

وكم أبرأت من مجنون حقاً وكم رديت ألوق في الخدود
وقد جبت اليسير بجنح ليل من الكفَّار يسعي في القيود
لكم فقراء إذا طربوا وطابوا تراهم في السَّماع كما الأسود
إشارات الفقير لكم صريح من الأشواق تبدو للمريد
كريح المساك قد فاحت عيانا معطَّرة كمسك في الوجود
فكم لك من براهين وسرٍ لديها حارت أرباب الجحود
ألا يا آل سعد الدين أنتم مناي في الوري وبكم وجودي
وأنتم سادتي وبكم أُكنىٰ فقيركم وعندكمُ عهودي
أنا الحمصيُ أرجوا عفو ربِّي تعالىٰ في علاهُ عن الحدود
إلهٌ واحد صمد قدير مُنَّزه عن شريك في الوجود
ومن لي يوم حشري من شفيعٍ سوىٰ الهادي لجنات الخلود
بني أبطحي هاشمي هدىٰ لدين كلا من جحود
محمد خير خلق الله طه عليه الله صلَّىٰ في الوجود

واعلم أن **أحوال رجال الله الصالحين** الصادقين ليس بحدٍ يُدرك، ولا بميزانٍ يُعرف، إنَّما هو من وراء هذا العقل الكثيف، المُعبَّر عنه بالمعاشي كما أشار إليه ابن الفارض حيث قال:

وثمَّ وراء النقل علم يدق عن مدارك أرباب العقول السليمة

وما تَمَّ في هذا المقام إلاَّ الرضى والتسليم لأحوال هؤلاء السَّادة نفعنا الله بهم، ولا سيَّما لأحوال أشياخنا السَّادة السعدية، فإن أحوالهم معجومة على أفهام أولي العلم من الظاهر، فكيف بغيرهم من العوام، ولأجل هذا يقع الإنكار عليهم غالباً، وأقول كما قال بعضهم:

من ذاق يدري ومن لا ذاق يطعمه ربِّي وما القول يُحصي بعض لذاتِ

والتَّسليم أسلم والله أعلم.

وقد انتهى ما كان من هذه الرسالة المباركة

مختصراً عمَّا وضعه المؤلف وألَّفه صاحبها رحمه الله تعالى.

ولقد قال مؤلفها رحمه الله تعالى،

أمَّا كتابنا هذا فإنه وقع فيه جواب وردٍّ من بعض الإخوان، فأخذني غيرة في الطريق، فكتبته في أقل مدَّة وزمان ،

فاختصرت العبارة المُطوَّلة وقنعت بالعبارةالمُـدوَّنة ،

وكـان فراغه من تـأليفهـا في مساء يوم الخـميس

مستهل شهر محرم الحرام لسنة سبع وسبعين وتسعمائة.

سـ977ـنة هجرية

وقع الفراغ من استنساخ هذا التأليف المُبارك بعونه تعالىٰ وتبارك

في اليوم العشرين من رمضان المبارك لسنة عشر ومائة وألف

من هجرة من له العز والشرف

وحسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد

خاتم الأنبياء والمرسلين وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين

سفينة الهدىٰ والنجاة وصحبه والتابعين

*

تَمَّت الرِّسَالة بحمد الله تعالى.

ختاماً

الحمد لله العلي الأعلى العلام

والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله وأصحابه الكرام

وبعد: فقد أخترت العمل على إظهار هذا الكتاب القيم المبارك

الذي سيكون بعون الله وتوفيقه بداية سلسلة مباركة نقدم من خلالها

جانباً من تراث السّادة السّعدية الجباوية الحسنية الذي تعرض خلال السنوات

الماضية للنسيان والإهمال، وقد أخذت على عاتقي بعد الاستعانة بالله تقديم

وإخراج كتب وتراث السادة السّعدية الجباوية ليعلم السائل والباحث أن

السّادة الصوفية هم أهل السبق في كل المجالات، وقد استعنت ببعض

الإخوة والأساتذة لإخراج هذا الكتاب

- منهم الأستاذ المؤرخ الباحث محمد غازي حسين آغا

الذي راجع الكتاب وأفادني بما يلزم من الضبط والمراجعة،

ثمَّ مقابلته على المخطوطات القديمة وإخراجه

- السيد الأستاذ أسامة محمد الحفيان النعيمي الحسيني

وعنايته بالكتاب

-السيد الشريف المهندس زاهر محمد عطايا السعدي الجباوي

أسأل الله العظيم أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم

وهدية واصلةً لحضرة رسول الله صلَّى عليه وآله وسلم

وإلى حضرة جدنا القطب الغوث الرَّبَّاني الشيخ سعد الدين الجباوي الإدريسي

الحسني الحُسيني الشيبي المكي قدس الله سره

وإلى السلسة الشريفة الواصلة إليه من جميع الأبناء والأحفاد و السادة الخلفاء

والعلماء الرَّبَّانيين

وإلى والدي ووالدتي والمسلمين أجمعين

وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

السيد الشريف سامر بن سليم السعدي الجباوي

حفيد السيد القطب العارف بالله

الشيخ سعد الدين الجباوي الجناني قدس الله سره

Samr.alsad1@gmail.com

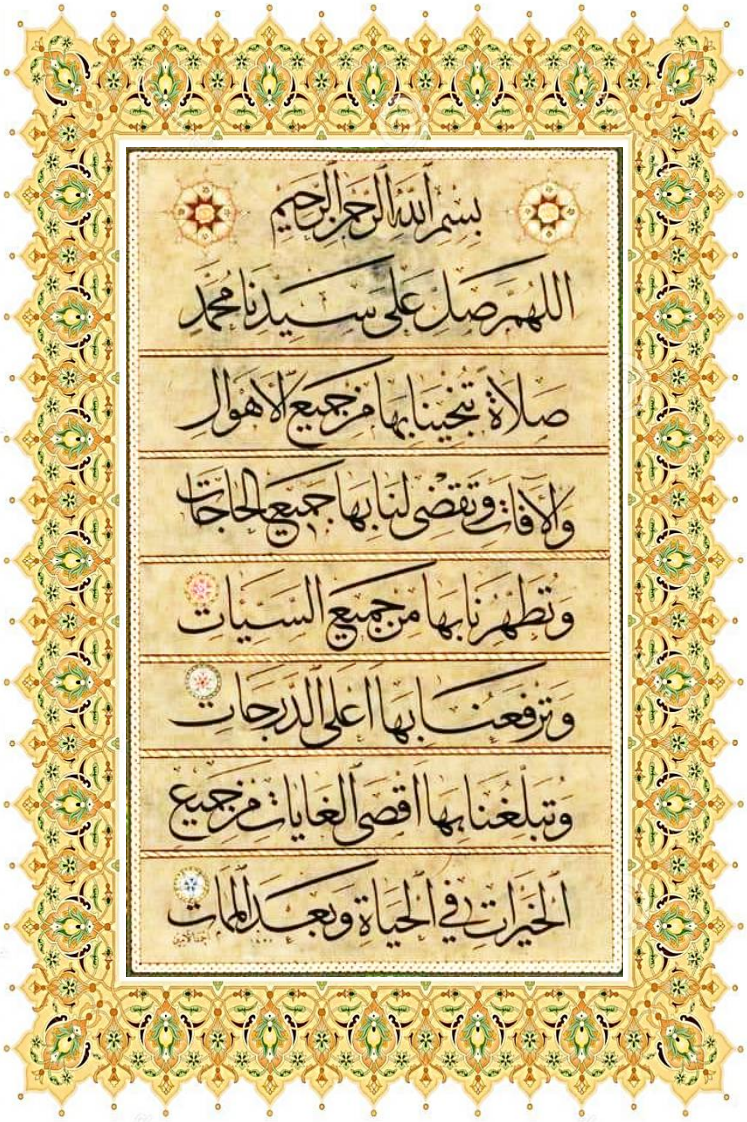

ثبت نسبة الصلاة المنجيّة إلى القطب النّبوي والغوث الرّبّاني

سُلالة النبوّة الطاهرة السُّلطان الشيخ سعد الدين الجَباوي

الحَسني الحُسيني الشيبي المكي قدس الله سره

ومن أقوال القطب الرّبّاني والغوث الفرد سلالة النبوّة الطاهرة

السلطان الشيخ سعد الدين الجَبَاوي قدس الله سره

قف على باب كريم كلما ... طرق الطارق بالخير فتح

وإذا أذنبت ذنباً فاحشاً ... ستر الذنب وإن تبت سمح

وإذا ناديت ليلاً سيدي ... قال لبيك وأعطى ومنح

نحن لا نعشق إلا عاشقاً ... غلب الوجد عليه فشطح

وإذا حاد تغنّى باسمنا ... قوي الوجد عليه فافتضح

هذه نسمة ذَيّاك الحما ... عبقت والعرف منها قد نفح

وبروق الغرب لما لمعت ... ظهر المحبوب منا واتضح

وكؤوس الحب قد أبدت لنا ... عين رقت من معانٍ وملح

يا بعيد الدار كم هذا الجفا ... ونرناد الشوق في قلبي قدح

إن تكن منا فكن ممتثلاً ... وافهم المعنى وخذ صافي القدح

إنما العلم كلحم ودمٍ ... ما حواه جسد إلا اصطلح

يا حضرت شيخ سيد عثمان الحناق قدس سره العالي
٢٧٠

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مدخل الكتاب	5
الإهداء	7
شكر وتقدير	9
النسب الشريف	10
مقدمة السيد سامر السعدي	11
كلمة السيد محمد غازي حُسين آغا	14
كلمة الشيخ عبيد الله القادري	19
كلمة الشيخ عبد الهادي الخرسه	20
كلمة الشيخ يوسف خطار	21
كلمة الشيخ صباح الدين الرفاعي	22
كلمة الشيخ فواز الطباع	23
كلمة المهندس زاهر عطايا السعدي	26
كلمة السيد أديب السعدي	30
ترجمة السيد سامر السعدي	34
تقريظ الشيخ مصطفى البكري	38
ترجمة الشيخ مصطفى البكري	39
التعريف بمؤسِّس الطريقة السعدية	41
التعريف بمؤلف الرسالة وأسرته خلفاء الطريقة السعدية بحلب	45
سلسلة خلافة الطريقة السعدية بحلب	52
وصف مخطوط الرسالة المحمدية	54

صورة عن مخطوط الرسالة	57
بداية نص الرسالة المحمدية	63
الباب الأول. ذكر سلسلة الطريق	65
خاتمة. حول موضوع الباب الأول	75
الباب الثاني. ذكر كرامات الأولياء والدليل الشرعي على جوازها	84
خاتمة. ذكر نبذة عن كرامات الشيخ سعد الدين وذريته	92
الباب الثالث. الوجد والأحوال الواردة على قلوب أوليائه	117
الباب الرابع. الذكر وأقسامه	145
الباب الخامس. بيان ذكر ما وقع من فتاوى من علماء الإسلام في الرَّد عن السادة السعدية وأهل الطريق	162
فتوى الشيخ محمد الكفرسوسي	163
فتوى الشيخ أحمد أبو الحسن البكري الشافعي	165
فتوى شيخ الإسلام والمسلمين	168
خاتمة. ذكر أدب المريد وما عليه من حق الطريق من التسديد	170
أقسام السالكين في الطريق إلى الله تعالى	182
قصيدة في مدح الشيخ سعد الدين وأهل الطريق إلى الله تعالى	184
أحوال رجال الله الصالحين	185
نهاية نص الرسالة الرسالة المحمدية	187
ختاماً	188
صيغة الصلاة المنجيَّة.	190
من أقوال القطب سعد الدين. قف على باب كريم كلَّما.	191
الفهرس	193